kitabweb-2013.forumaroc.net

اعلام المغرب الحديث

1

القائد عبد الله بنسعيد
رائد من أعلام المغرب الحديث

ازداد عام 1282هـ / 1865م
توفي 24 صفر 1342 / 6 أكتوبر 1923

أبوبكر القادري
عضو أكاديمية المملكة المغربية

1995

أعلام المغرب الحديث

1

القائد عبد الله بنسعيد
رائد من أعلام المغرب الحديث

ازداد عام 1282 هـ / 1865 م
توفي 24 صفر 1342 / 6 اكتوبر 1923

أبوبكر القادري
عضو أكاديمية المملكة المغربية

1995

الطبعة الأولى 1415 ـــ 1995
© جميع الحقوق محفوظة

صورة القائد عبد الله بنسعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة أولى

هذا الكتاب الصغير الحجم، يتحدث فيه المؤلف عن شخصية رائدة من شخصيات المغرب الحديث، ولقد فتح به المؤلف الكلام والحديث عن بعض الشخصيات التي لم يتعرف عليها ولم يعاصرها، ولكنه عرف عنها الكثير، ورأى أنْ لا يبقى الكثيرونْ جاهلين الدور الذي قامت به في ميدان الدفاع عن حرية المغرب واستقلاله أو ميدان نشر المعرفة، وتنوير الفكر، والنصح للمسؤولين، أمثال العلامة أحمد بن خالد الناصري والوطني الغيور الحاج علي زنيبر وغيرهما وذلك تحت عنوان : «أعلام المغرب الحديث».

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا يزال تاريخ الحركة الوطنية المغربية منذ نشأتها الأولى لم تكتمل أجزاؤه، ولا يزال الوطنيون الذين لعبوا أدوارا في مقاومة الوجود الاستعماري بالمغرب، لم يتعرف إلى جميعهم، فكثير من الشخصيات التي أدركت أخطار الاستعمار، قبل أن يخيم بكلكله على المغرب، لا زلنا لم نتعرف عليهم، ولا زال المؤرخون والباحثون الذين يتتبعون الأحداث التاريخية، خصوصا في فترات تواطؤ الدول الغربية على بلادنا المغربية، وتآمرهم الباطن والمكشوف على استقلالها، لا زالوا ينقبون ويبحثون، لعلهم يستطيعون أن يتعرفوا إلى الشخصيات الوطنية التي كان لها وعي قوي، وادراك عميق لما يدبره الاستعمار، ويخطط له، لاستعمار بلادنا، والسيطرة عليها، وإضعاف نفوذ السلطة الشرعية المغربية، التي كان يمثلها السلطان المبايع.

وإذا كان التاريخ كتب صفحات ذهبية عن مواقف بعض الشخصيات الوطنية، أثناء فترات الضعف، خصوصا بعد وفاة جلالة الحسن الأول، وتولية ابنه عبد العزيز، ثم المولى عبد الحفيظ، والحركات التي قام بها هؤلاء الرجال، للمطالبة بالقيام باصلاحات أساسية، وإدخال تغييرات جوهرية على تسيير شؤون البلاد، وتقديمهم اقتراحات لسلطان البلاد، كي يتدارك الموقف قبل فوات الأوان، وحلول كارثة الاستعمار المخيف، فإن كثيرين آخرين لازلنا لم نتعرف على مواقفهم إلا القليل، ولازالت أعمالهم ومواقفهم مغمورة، ولازالت حياتهم ونشاطاتهم لم يسجل منها إلا القليل، ولم يتعرف عليها إلا الأقل من القليل.

والواقع أن فترة ما قبل الحماية الفرنسية، كانت تعرف رجالا وطنيين موزعين في بعض المدن المغربية، كانوا يتتبعون الأحداث بكل اهتمام، وكانوا يدركون تمام الادراك، المؤامرات التي يدبرها المخططون الفرنسيون، للاستيلاء على المغرب، وبسط نفوذهم عليه، ويعملون جاهدين وبالوسائل التي بين أيديهم، لعرقلة المخطط الاستعماري وإفشاله، وصيانة استقلال المغرب، قبل أن يقع المحذور، وتحل الفاجعة الأليمة.

ومن جملة هؤلاء الذين تنبه وعيهم لإدراك خطر الاستعمار الفرنسي، وبذلوا النصح للمسؤولين، كي يتداركوا الموقف، الوطني الغيور القائد السيد عبد الله بن الحاج محمد بنسعيد السلوي، الذي كان على وعي كامل بأبعاد المخطط الاستعماري، وفي أتمّ اليقظة الفكرية والسياسية وصحوة الضمير، وتفتّح البصيرة، والذي يُعدّ في طليعة رجالات النهضة الحديثة في المغرب.

ولقد حاولت جهدي في هذا الكتاب أن أجمع أشتاتاً من المعلومات والوثائق وأقدمها إلى القارئ في إطار دراسة مركزة سعيتُ فيها إلى تقديم صورة المغرب في مستهل القرن العشرين، وإلى تقريب الظروف التي كان يعيش فيها الوطن في تلك المراحل الدقيقة، إلى ذهن القارئ.

وأنا أعلم أن القائد عبد الله بنسعيد في حاجة إلى دراسة أوسع، وأن محاولاته إصلاح الأوضاع تستحق تحليلات معمقة، ودراسات مقارنة، ولكني عزمت على أن أبادر إلى نشر هذا الكتاب عنه، تخليداً لذكراه، وإكباراً لجهوده ومواقفه، وذلك في إطار هذه السلسلة التي اخترتُ لها عنوان : (أعلام المغرب الحديث)، والتي أسأل اللّه أن يوفقني إلى أن أنشر ضمنها ما يمكنني من تراجم لبعض الشخصيات الرائدة.

أسـرته

أسرة بنسعيد : وعائلة بنسعيد من الأسر السلاوية العريقة في المجد، والعلم، والأدب، والسياسة، انحدرت من الأندلس في عهد أبي عنان المريني، أوائل القرن الثامن الهجري، (الرابع عشر الميلادي). ويذكر المؤرخ الباحث جعفر الناصري أن من مشاهيرهم القاضي أبو السعيد السلاوي، العلامة الخطيب، الرحالة، والقاضي محمد بن سعيد المنصوري السلاوي المتوفى سنة 1113هـ، وهذان العالمان يتحدث عنهما المؤرخ الفذ السيد محمد بن علي الدكالي في نظمه المسمى بإتحاف أشرف الملا، ببعض أخبار الرباط وسلا، فيقول ومنهم القاضي أبو سعيد :

... إلى سلا يعزى بلا ترديد

كـان إمامـاً عالمـا محدثـا　　راويــة وللـبيــان نـافـثـا

إلى أن يقول :

ومنهم القاضي بها المنصوري　　ابن سعيد ذو السنا المشكور
محـمـد وبـسـلا منشـأه　　وطال في نيل العلا مـداه
كان اماما مقرئا مدرسـا　　مشاركـا مؤلفـا مؤسسـا

وذكر الدحدوح كما نقل عنه المؤرخ ابن عزوز، أن عائلة «بنسعيد» السلوية، تنسب إلى أبي الحسن ابن سعيد العنسلي الأندلسي الملقب بالبلبل، لفصاحته وجودة قريحته، والذي وردت ترجمته مطولة في كتاب «نفح الطيب». كما ذكر ان فردا من عائلة بنسعيد يسمى بالحاج محمد بنسعيد انتقل إلى تطوان عام 1102 (1691) واشتهر عند الناس (بالسلاوي)، وصار أبناؤه وأحفاده من بعده يسمون بأولاد السلاوي، ومنهم أصهار آل بنونة حفظهم الله.

ويذكر المؤرخ جعفر الناصري، نقلا عن نفح الطيب، أن نسبهم في أوليتهم يرجع إلى عبد الله بن سعد ابن الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه، كما ينقل عن ابن حيان في مقتبسه، أن عبد الله بنسعيد هذا هو جد بني سعيد، أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وأمراء وكتاب، وشعراء.

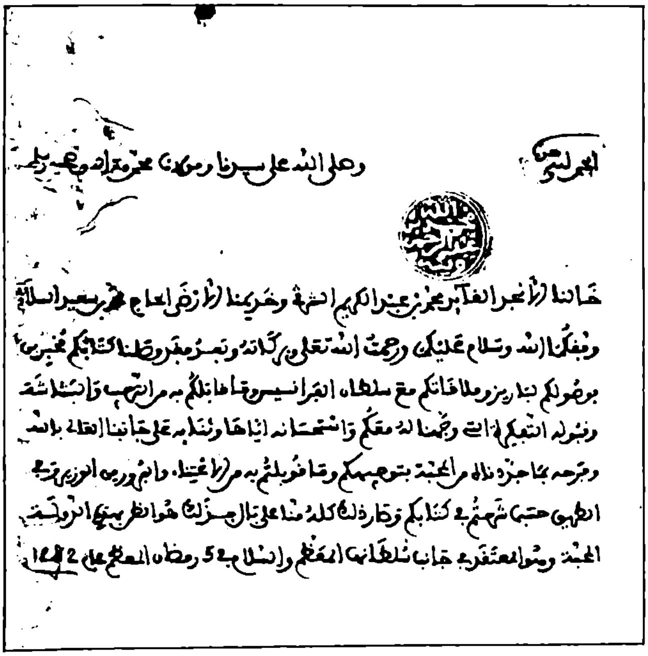
الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

خديمانا القائد الأنجد الأرضى محمد بن عبد الكريم الشرقي وخديمنا الأرضى الحاج محمد بن سعيد السلاوي
وفقكما الله وسلام عليكما ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابكما مخبرين
بوصولكم لباريز وملاقاتكم مع سلطان الفرانسيس وما قابلكم به من الترحيب والبشاشة
وقبوله الهدية التي وجهنا له معكم واستحسانه إياها وثنائه على جانبنا العالي بالله
وفرحه بما جدد ذلك من المحبة بتوجيهكم وما قوبلتم به من الاعتناء [illegible]
[illegible] حسبما شرحتم في كتابكم وصار ذلك كله منا على بال [illegible]
المحبة [illegible] جانب سلطاننا المعظم والسلام في 5 رمضان المعظم عام 12[illegible]

نص كتاب من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الى مبعوثيه
إلى نابوليون الثالث بونابارتي القائد محمد بن عبد الكريم الشرقي
والسفير الحاج محمد بنسعيد والد القائد عبد الله بنسعيد

وَالــــده

ووالده الحاج محمد بن الحاج محمد بنسعيد، من أبرز الشخصيات التي كان لها وزن واعتبار، لدى رجال المخزن الشريف، سواء في عهد السلطان المولى عبد الرحمان، أو في عهد ابنه محمد بن عبد الرحمان ابن هشام، أو في عهد المولى الحسن الأول، فلقد تولى عدة مناصب حكومية في عهد هؤلاء السلاطين، يتقوون به، ويعتمدون عليه في كثير من المهمات، ولقد عهد إليه سيدي محمد بن عبد الرحمان، بسفارة إلى ملك فرنسا «نابليون» الثالث، صحبة السفير السيد محمد بن عبد الكبير الشركي، حيث حملا إليه خطابا سلطانيا مؤرخا بتاريخ 22 ربيع الأول عام 1282هـ، الموافق 15 غشت 1865.

قال المؤرخ الناصري في (الاستقصا) : وفي هذه السنة أعني سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف (1865م) وجه السلطان رحمه الله، قائد جيشه ابا عبد الله بن عبد الكريم الشركي، وعامل سلا أبا عبد الله محمد بن سعيد السلاوي، إلى دولة فرنسا بباريس.

وكان السبب في ذلك ما أخبرني به القائد أبو عبد الله بن سعيد المذكور، قال : كان سيدنا أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمان رحمه الله، قد أصحبنا كتابا إلى طاغية الفرنسيس، بالكلام معه في شأن هؤلاء النواب الذين يبعثهم إلى المغرب، وأن يكون ينتخبهم من بيوت الأعيان، وممن يتصف بالتأني، وحسن السيرة، والوقوف عندما حد لهم. ولما وصلنا إلى باريس، شرحنا ذلك للطاغية المذكور كتابة، ففرح، وقابلنا بما لا مزيد عليه من البرور، الذي لا نقدر على شرحه، مع أن اكرامنا ولله الحمد، يفوق ذلك في الصوائر، وكنا توجهنا ومعنا خيول وغيرها، وأقمنا بباريس شهرا.

وكان مقامنا بدار كثيرة الفرش، والأثاث، من الفضة والمعدن، ووكل بنا أمين يصير علينا حسب نظرنا، وقوّامة يباشرون فرش المنزل وتنظيفه، وغير ذلك، ومعنا أصحابنا وطباخنا، الا انهم منعزلون عنا بمحل يخصهم.

وفي كل يوم تستدعينا الدولة للفرجة ليلا، بمحل يسمى (التياترو) وفيه مواعظ وحكم، لمن تبصر، ومتعة للنفس، لمن كان حظه النظر.

وقد أكرمنا الطاغية بمنزله، وأكرمنا الوزراء، وعامل البلد، والأعيان، ليلا، وكل واحد يجمع علينا أعيان الدولة، وأهل البلد نساء ورجالا، وعادتهم عند دخولك المنزل، أن تحيي الزوجة، ومن معها بالسلام أولا، ثم بعد ذلك تحيي الرجل.

ورأينا من الطاغية ووزيره على الأمور البرانية، من البرور والبشاشة، ما جاوز الحد، وطلب منا هذا الطاغية أن نبحث له في كتب التاريخ بالمغرب، هل نعثر على تاريخ بناء رومة، وفي أي وقت بنيت ؟ واسم بانيها، ونبعث به إليه ؟

ولقد أورد الناصري في كتابه، نص الرسالة السلطانية إلى نابليون الثالث بونابارت، أثبتها هنا لأهميتها. تقول الرسالة بعد البسملة والحوقلة :

«من عبد الله المتوكل على الله، المفوض أمره إلى الله،

أمير المومنين ابن أمير المومنين ابن أمير المومنين بالمغرب الأقصى، وهو محمد بن عبد الرّحمان وفقه الله، أدام الله نصره، وزين بالخيرات عمره، إلى المحب الذي حل من مراتب الرياسة أسناها، وحاز من خصال التقدم أقصاها، فأصبحت ألسن الرؤساء لهجة بذكره، مفصحة بتسليم نتائج فكره، ملك الممالك الفرنسوية، السلطان نابليون الثالث بونابارتي.

أما بعد، فموجب تحرير هذا المسطور إليكم، اعلامكم بما تضمنه الفؤاد، من خالص المحبة وحفظ الوداد، واننا مسروورون بما يتجدد

لدينا كل وقت من عقد أسبابها، وما يظهر كل حين، من تشييد أركانها وفتح أبوابها، فإن محبتنا معكم الشخصية، زادت ما كانت عليه في عهد الاسلاف، وذلك لما جبلتم عليه من صفاء الطوية، وحسن الائتلاف، فإن القلوب في الوداد تتضاهى، وما بني على أصل وثيق، كان جديرا بأن يعظم ويتناهى، وبموجب ذلك عينا للسفارة إليكم خالنا الأرضى الأنجد، القائد محمد بن عبد الكريم الشركي، وهو أحد باشات جيشنا، ومن كبراء رجال دولتنا، مع ما تشرف به من قرابة الرحم لدينا، ومعه خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد بن سعيد، قائد سلا، وهو عندنا أيضا بالمكان المكين، لما تخلق به من الأدب والعمل الرصين.

والغرض من توجيههما، تجديد العهد بكم، والحرص على موالاة المواصلة معكم، لما في ذلك من تأكيد أسباب المحبة بين الدولتين، وتمهيد طريق الخير بين الايالتين، والظن بشيمتكم مقابلتهم بحسن القبول، وتبليغهم في وجهتهم غاية المأمول، جريا على عادتكم القديمة، وسلوكا على طريقتكم القويمة، وقد حملناهم ما في خاطرنا من أمور السياسة، الجالبة لمصالح الجانبين، ما يقررونه لديكم، ويعرضونه عليكم، ففي أخبارهم كفاية، وأوصيناهم بحسن الاستماع، لما تلقونه إليهم، والأدب في تلقي ما تعرضونه عليهم، كما أننا نتحقق أنكم لحسن معاملتكم، ومزيد محبتكم، توصون نوابكم الذين توجهونهم للخدمة بايالتنا السعيدة، بحسن المعاملة، والتقصي في ترحيب الصدور والمجاملة، والوقوف عند الشروط، والعمل بمقتضاها.

والتمام في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف (1282) موافق لـ (15 غشت سنة 1865)».

الجالس في الوسط هو القائد عبد الله بنسعيد
ومعه بعض الشخصيات المغربية والأجنبية وذلك
أثناء توليه النيابة عن الطريس في طنجة

رحلة الحاج محمد بنسعيد إلى فرنسا

ومما ينبغي تسجيله هنا أن الحاج محمد بن سعيد، خلف كناشة صغيرة، سجل فيها تفاصيل هامة عن رحلته إلى فرنسا، يمكن أن يطلع عليها لدى مخلفات حفيده المرحوم السيد جّ العربي بنسعيد. كما أنها نشرت بالكتاب الذي ضم وثائق الحاج محمد بنسعيد، والذي سهر عليه وحققه الأستاذ مصطفى بوشعرة. ولقد جاء في هذه الكناشة وصف دقيق للرحلة ابتداء من خروجه من مكناسة الزيتون، إلى أن وصل إلى باريز، والاتصالات التي قام بها هو والشركي، والمذاكرات التي جرت بينهما وبين نابليون ووزارئه، كما تعرضت الكناشة إلى الزيارة التي قاما بها لمعرض باريز، والمقابلة التي تقابلا مع وزير البحر، وزيارتهما لمتحف السلاح، وللسيرك الذي عبر عنه بالتياترو، والعجائب التي رأياها فيه، وكذلك زيارتهما للمسرح، إلى غير ذلك من الارتسامات التي تشهد للرجل بالنباهة والذكاء، وحب الاطلاع، والتسامح، وعدم الانكماش، فمن ذلك مثلا وصفه للاقتبال الذي خصصه لهما وزير الحرب فهو يقول عنه : (وبنفس ما دخلنا، التقينا بزوجته ورحبت بنا، وهو وكل بنا كبيرا من العسكر، يقرأ العربية مع المسلمين، وأمرهم أن يسيروا معنا لجميع المحلات التي فيها الفرجة بالدار، فدخلنا، ووجدنا، نسوة كثيرات مجتمعات، جالسات على شوالي، وأخرى قائمات ترقصن مع رجال، كل امرأة قابضة على رجل، وهي ترقص معه، حتى ترى عرقه وعرقها منصبين على جسدهما من كثرة التعب، والآلات المطربة تضرب، والمغنون يترنمون، وأوض كثيرة (أي دور كثيرة) يفعلون بها ذلك، وان الرجل الأجنبي ياتي لجمع النساء ويختار منه امرأة، يقبض بيدها ويمضيان لمحل الرقص يرقصان آلخ...

وتتطرق هذه الرحلة إلى اقتراح بعض الاصلاحات التي يجب أن يهتم بها المغرب، كالاهتمام بشؤون البحرية، وتكوين الأطر لها، وشراء السفن الصالحة، وتوجيه بعثات إلى أرض الافرنج، قصد تكوينها في مختلف المجالات العلمية، والصناعية، والعسكرية، كالطب، والتاريخ، والصناعات، واللغات، واصلاح الفلاحة، وتعمير الأراضي، وجلب الآلات الحراثية ومكونين عارفين بالاصلاح الفلاحي، والاهتمام بالمعادن، والاستفادة منها، واستدعاء خبراء عارفين، لتكوين المغاربة في مختلف هذه الأمور، ثم يقول في هذا الموضوع : (وجميع الأمور بفضل الله تصلح بأرض المغرب، وتشتغل جميع الرعية بالكسب، والفلاحة، والتجارة، ومن لم يكن عنده مال، فبيت المال يقرضه، وخصوصا التجار، فهم روح الملك، ينبغي السعي في ترقيهم، وعلو مرتبتهم، فإن في ذلك لمولانا فوائد، منها أن الوارد من سائر الأجناس، لا يختص وحده بالمنفعة، دون سكان الأرض، ولا محالة أن رب الأرض يكرم على غيره من الأجنبيين، ولابد للأجنبي من أن يتوقف على رب البلد، ضرورة حين الاتيان في بيعه وشرائه، وان تكثر التجارة حتى يقل كسب البراني، بكثرة تجار سيدنا، بحيث يرتقبون محلا فيه الربح أكثر، ويجتهد الناس في أمر الفلاحة والكسب، ويعود خير ذلك كله على بيت المال).

والواقع أن هذه الرحلة في حاجة إلى دراسة دقيقة، فهي تعطينا صورة واضحة عن تفكير الرجل في ذلك الوقت، واهتماماته المتعددة، وتطلعه إلى أن يسير المغرب في النهج الذي يوصله إلى التقدم والنماء في مختلف الميادين، كما تدلنا على أن الرجل كان متفتحا كل التفتح، يلاحظ ويستفيد، ولا يعبر عن أي تضايق، مما يرى عند الغير، ولو كان غير متفق مع التقاليد التي عليها المغرب، والتي عاش هو في كنفها.

ومن الأمور التي اهتم بها لدى توليه عمالة سلا، تنفيذه للقرار الذي اتخذه المولى الحسن الأول من اسقاطه لضريبة المكوس التي كانت مرتبة على الأبواب فلقد تلقى رسالة ملكية في الموضوع جاء فيها : **«خديمنا الأرضى الحاج محمد بن سعيد السلاوي، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد، فقد شرح الله صدرنا لرفع العطاء، في سائر**

الأبواب بالمدن والمراسي، عن كل ما يمر بها عليها داخلا وخارجا، وأصدرنا أمرنا الشريف لامين المستفدات بثغر (سلا) المحروس بالله كفيره، بإنهاض المشترين لأبوابه، الجالسين للقبض بها، والمتصرفين في شؤونها، لحال سبيلهم، واعمال الحساب مع مشتريها المذكورين، على ما تصرفوا فيه إلى يوم الانهاض، وتوجيه القائمة بذلك لحضرتنا العالية بالله، وغير الأبواب من الأماكن المعطى فيها، تبقى على حالها، حتى ننظر في أمرها بحول الله، واعلمناك بذلك لتكون على بال والسلام.

في ثاني ربيع الأول عام ثلاث وثلاثمائة وألف (1303)/9 دجنبر (1885)»

لقد كانت دار سكنى العامل السيد الحاج محمد بنسعيد ومحكمته بدرب يسمى بدرب آل جنوي، ويقع هذا الدرب أسفل عقبة المسجد الأعظم، قبالة درب لعلو، وبقيت هذه الدار سكنى ومحكمة لولده، الذي تولى العمالة بعده، ثم انتقلت إلى حفدته الذين استقروا بها لغاية الأعوام الأخيرة، ويقول المؤرخ سيدي جعفر الناصري، أن هذه الدار تاريخية وبها كان يسكن العامل عبد الحق فنيش، والعامل من آل الأشقر وغيرهما. ومن آثارها التاريخية بهذا الدرب : المسجد، والكتاب المعدُّ لتعليم الصبيان القرآن. لقد بقي الحاج محمد بنسعيد عاملا على سلا، نحوا من اثنتين وثلاثين سنة أي من عام (1278) (1862) إلى عام (1310) (1892) حيث وافاه الأجل المحتوم.

ولما توفي، تولى بعده منصب العمالة، ولده السيد عبد الله بن سعيد، فلقد أعطى السلطان أمره بتعيينه بمجرد وفاة والده، وجاء في ظهير التولية مايلي بعد الحمدلة والتصلية : خدامنا الأرضين كافة أهل سلا، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد، فقد ولينا عليكم، خديمنا الأرضى الطالب عبد الله بن محمد بن سعيد السلاوي، وأسندنا إليه النظر في أموركم، فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الأمر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم، ووفق الكل لِمَا فيه رضاه والسلام.

في 25 ربيع الثاني عام (1310) 16 نونبر (1892)

نشـأتـه

ولادته : ازداد السيد عبد الله بنسعيد بمدينة «سلا» عام اثنين وثمانين ومائتين وألف هجرية (1282) الموافق لسنة (1865) خمس وستين وثمانمائة وألف ميلادية وهي السنة التي سافر فيها والده محمد بنسعيد في سفارة إلى ملك فرنسا «نابليون» الثالث.

دراسته : وعندما بلغ سن الدراسة، أدخله والده إلى كتاب الفقيه السيد احمد التيال، حيث تلقى عليه الدروس الأولية، في القراءة والكتابة والقرآن الكريم، ثم صار يتعاطى الدروس العلمية والأدبية، على عمه الفقيه أبي حامد الحاج العربي بنسعيد والفقيه العالم السيد أبي بكر عواد والمؤرخ الشهير أبي العباس السيد أحمد بن خالد الناصري، والفقيه العدل السيد لحسن بن إسماعيل. ومن جملة الذين رافقوه في الدراسة الفقيه العدل الشاعر الأديب السيد محمد المنصوري والفقيه الأجل السيد حتي (بفتح الحاء والتاء وتشديد التاء) والفقيه الرزوكي، وانكب على مطالعة كتب الأدب، فارتوى من معينها، ولازمها ملازمة مستمرة. يقول الفقيه المؤرخ السيد عبد الحفيظ الفاسي لدى ترجمته وتعريفه بمترجمنا في رحلته التي حررها لدى زيارته إلى بعض المدن الساحلية عام (1328) الموافق لـ (1910).

ترجمة عبد الله بنسعيد في رحلة عبد الحفيظ الفاسي

(عبد الله بنسعيد السلوي : هو القائد الشهير عبد الله بن محمد بنسعيد، من ذوي الوجاهة والوقار والثروة واليسار، شب في الرئاسة منذ صباه، ورضع لبان المعارف والآداب، عمدة من عمد المغرب وفطاحله، قل نظيره في الاطلاع على ماجريات السياسة، وأحوال الدول وقوانينها وحقوقها، ولاسيما عوائد دول المغرب، وأحوال ملوكه وأيامهم، لازم دروس أبي حامد، وأبي العباس الناصري وغيرهما وخالط كتب الأدب مخالطة

جيدة، أكسبته اقتدارا عظيما على الكتابة، والنطق، وحسن المحاضرة، ولطائف المحاورة، يستحضر نفح الطيب، ويهتف بغيره من كتب المعارف. ومن جملة الكتب الأدبية التي اهتم بها مقامات الحريري، كما اهتم بكتب الحديث وغيرها. ويقول عنه الدكتور تقي الدين الهلالي في كتابه : دواء الشاكين، وقامع المشككين المطبوع بدار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء صفحة 72 و73 مايلي : (ورأيت رجلا يشبهه (أي يشبه الشيخ عبد الله بن بليهد رئيس القضاة في البلاد السعودية) في الأدب والحفظ، وهو السيد عبد الله بنسعيد السلوي، هو أول وطني في المغرب، وأول مقاوم للاستعمار، حين كان المغاربة في غمرة ساهين، وكان جمهورهم يعتقد أن مقاومة الفرنسيين، كمقاومة البشر للعفاريت، أو الأقزام للعمالقة، وقد جاهر بمقاومته فنفاه «ليوطي» من بلده «سلا» إلى «وجدة» وفيها كنت أتردد عليه، وكان يسر بلقائي وإذا أبطأت عليه يرسل في طلبي، فرحمة الله عليه، وفي يوم من الأيام قال لي قاضي القضاة : بشر السيد عبد الله بنسعيد، بأني تحدثت في قضيته مع المراقب المدني، فوعدني بأنه سيسعى في إصدار العفو عنه، فما عليه إلا أن يكتب كتابا إلى المارشال «ليوطي» يطلب فيه العفو، فذهبت إليه وأخبرته بذلك، فتبسم وقال لي : إني أتأسف عليك أن ترضى بمثل هذا لنفسك، أو لأحد من المواطنين، ماذا أقول في هذا الكتاب ؟ أقول انني مذنب، ألتمس العفو من أجنبي مغتصب، لاحق له في الاستيلاء على وطننا، ولا في الحكم فيه، فضلا عن أن يكون له حق في نفيي، لأني أبيت الخضوع والتملق للمستعمر الغاصب، (فاليوطي) هو الذي يجب عليه أن يطلب العفو مني، لأنه اعتدى علي، واغتصب أرضي، ثم نفاني من بلدي، قال : ولقد كتبت احتجاجا إلى رئيس جمهوريتهم في كراس، وبعثته في البريد، فلم يتركوه يصل إليه، ولن أخضع لعدو مغتصب أبدا. وعلمت بعد ذلك أن (اليوطي) زار وجدة، ومر بباب داره فأشير عليه أن يخرج إليه فأبى :

ذي المعالي فليعلون من تعالي   هكذا هكذا وإلا فـلا لا)

انتهى كلام الهلالي.

مَعرفتي بالقائد عَبدالله بَنسعيد

تعرفت على القائد بنسعيد في العاشرة من عمري

لقد تعرفت على السيد عبد الله بنسعيد وأنا صغير، لم أبلغ العاشرة من عمري، ففي مرضه الذي توفي فيه، طلب من خالي وكان صديقا له، أن يأتي بي إليه، باعتبار أنه كان صديقا لوالدي رحمه الله، وبالفعل أخذني الخال المذكور، لأسلم عليه، وكان على فراش المرض، وأذكر أنه سر برؤيتي رحمه الله، وإذا لم تخني ذاكرة الطفولة فلقد رأيته كما وصفه (موليبراس) أستاذ اللغة العربية، بوهران لما زاره بطنجة في 15 يبراير (1900) فقال : انه بدين واسع ما بين المنكبين، بارز البطن، ينبت شعر أشقر في وجهه العريض، عرض وجه الناسك الطيب، وفيه في جبته الخضراء الفضفاضة)[1].

(1) أؤكد أن الذي أخذني إلى الفقيد رحمه الله هو خالي السيد أبو بكر المريني لا والدي كما جاء في رسالة ابن الفقيد المنشورة بالملحقات، لأن والدي كان إذذاك قد توفي رحمه الله.

(2) بوشعراء نقلا عن جاك كاني.

يظهر في يسار الصورة القائد عبد الله بنسعيد جالساً مع بعض الشخصيات

حياته العملية

وظائفه :

وبعدما ارتوى من مختلف المعارف، واستد عوده، واكتسب تجربة في الحياة، أسندت له خلافة والده، فعين خليفة له في القيادة، وكان سنه إذ ذاك ستة وعشرين سنة، وذلك عام ثمانية وثلاثمائة وألف هجرية، ثم عين عدلا بمرسى الرباط عام 1309هـ ولما توفي والده رحمه الله عام عشرة وثلاثمائة وألف، عينه السلطان المولى الحسن الأول، قائدا على مدينة «سلا» وأولاد سبيطة وسيدي حمادي بالغرب، وكانت رتبة القائد تعادل رتبة الباشا أو العامل، وفي سنة 1312 عين أمينا للمرسى بالرباط، مراقبا على إدارة الجمارك، ثم سافر إلى مدينة مراكش، حيث أسندت له مأمورية بالخارجية، مع عبد الكريم بنسليمان وذلك سنة 1314هـ ثم تقرر نقله إلى مدينة طنجة سنة (1314) (1893م) حيث عين أمينا بالمرسى، مع احتفاظه بباشوية «سلا» ثم رجع إلى مراكش، للقيام بمأمورية أسندت إليه تتعلق بإحصاء البنايات المشيدة فوق الأراضي الحبسية والمخزنية بمراكش. ولم تأت سنة 1317هـ (سبعة عشر وثلاثمائة وألف) حتى عين بدار النيابة بطنجة، ثم عين مفتشا بالمراسي المغربية مع السيد محمد بن المفضل بن جلون، ثم رجع إلى دار النيابة بطنجة، مكان الحاج محمد المقري، الذي ذهب إلى مهمة بالخارج، ثم أسندت له مهمة النيابة عن الحاج محمد الطريس.

وأثناء توليه النيابة عن الطريس، زار طنجة أمبراطور ألمانيا «غليوم»، فانتدب لاستقباله، وقابله بحفاوة كبرى، الأمر الذي جعل الامبراطور ينعم عليه بوسام النسر الأحمر، الذي يعتبر من أكبر الأوسمة الألمانية، ويذكر المؤرخ السيد محمد بن عزوز حكيم انه يتوفر على عدة رسائل

سلطانية، موجهة إلى السيد عبد الله بنسعيد من طرف المولى عبد العزيز، ومن جملتها رسالة مؤرخة بتاريخ 5 صفر 1318 (الموافق 4 يونيه 1900) يكلفه فيها بالاحتجاج لدى نواب الدول بطنجة، ضد التدخل الفرنسي بالصحراء المغربية[2] وفي نفس السنة (1318) 1900) عهد إليه (بمباشرة قضية ماء بليونش، الذي كان الاسبانيون يريدون الاستيلاء عليه وجلبه إلى مدينة «سبتة» المحتلة. وللباشا عبد الله (بنسعيد) يرجع الفضل في احباط المخطط الاسباني، حسب ما تشهد به عدد من الرسائل السلطانية الموجهة إلى الباشا، والرسالة الموجهة من طرف الباشا إلى مولاي عبد العزيز بتاريخ فاتح رمضان 1318 (13 ديسمبر 1900م)[3] ولقد كان وقع خلاف بين أعضاء المجلس الاستشاري بدار النيابة بطنجة، فتكلف السيد عبد الله بنسعيد، بالتدخل في الأمر، والتوفيق بين الأعضاء، وذلك ما تشهد به الرسالتان اللتان وجههما وزير الخارجية السيد عبد الكريم بنسليمان إلى الباشا بتاريخ 29 شعبان و18 رمضان من سنة 1318 (22 ديسمبر 1900) (9 يناير 1901)[4][5].

تعيين القائد بنسعيد في المجلس الاستشاري

وعندما قرر جلالة الملك السلطان المولى عبد العزيز، إنشاء مجلس استشاري بجانب النائب السلطاني بطنجة السيد ح محمد الطريس، عين السيد عبد الله بنسعيد أحد أعضاء هذا المجلس الذي لم يتجاوز أعضاؤه سبعة أفراد.

(2) ومضات مضيئة عن الحرب الريفية ص 23.

(3) نفس المصدر ص 24.

(4) نفس المصدر ص 24.

(5) لقد أصدر الأستاذ مصطفى بوشعراء مجلدين في التعريف ببني سعيد السلاويين ونبذة عن وثائقهم ويتضمنان كثيرا من الوثائق الهامة عن القائد بنسعيد ووالده الحاج محمد. وبعض الوثائق الملحقة بهذا الكتاب مأخوذة من كتاب الأستاذ بوشعرة.

المغرب في مطالع القرن العشرين

إن الظروف التي كان يعيشها المغرب أوائل القرن العشرين، وأواخر القرن التاسع عشر، كانت ظروفا قاسية، تعددت فيها التآمرات على استقلال بلادنا، وضعفت القيادات الرشيدة المخلصة، وكان المغرب في حالة من التضعضع والانهيار، ما جعل الفئة الواعية من أبناء المغرب، تطالب باصلاحات جذرية في تسيير البلاد. من شأنها أن تنقذ الموقف، وما جعل السلطان عبد العزيز نفسه، يطلب من ذوي الحل والعقد من العلماء، ورجال الدولة، أن يقدموا إليه اقتراحات تساعد على إصلاح وضعية البلاد، وتخرجها من الحالة المتدهورة التي صارت فيها، فكان مترجمنا من جملة الأفراد الواعين، الذين وقع استدعاؤهم من طرف وزير الخارجية إذذاك السيد عبد الكريم بن سليمان، ولقد جاء في الرسالة التي وصلته وهي مؤرخة بـ 17 محرم 1319هـ مايلي :

«محبنا وخادم سيدنا، الأرضى القائد السيد عبد الله بن محمد بنسعيد أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، فبوصوله إليك، يأمرك سيدنا دام علاه، أن تقدم على شريف أعتابه، لغرض أكيد بحراً، من ذلك الثغر الطنجي إلى الجديدي، والكتاب الشريف لأمناء مرسى طنجة، بتزويدك واركابك من ثمة للجديدة بحرا، تقدم توجيهه لنائب سيدنا الأجل السيد الحاج محمد ابن العربي الطريس، مع كتاب أمناء الجديدة بتزويدك، وإكراء الظهر لك لشريف الأعتاب، وقد كتبنا لنائب سيدنا المذكور، عن الأمر الشريف بالتعجيل بتوجيهك، ريثما يرد عليك الكتاب الشريف بمضمن هذا وعلى المحبة والسلام في 17 محرم عام 1319. عبد الكريم ابن سليمان لطف الله به».

لقد وقع استدعاء السيد عبد الله بنسعيد إلى مراكش، للمشاركة في الاجتماع الذي وقع بالقصر الملكي، والذي ترأسه السلطان عبد العزيز

نفسه، وحضره كبار رجال الدولة، من وزراء وغيرهم. ونوقش في هذا الاجتماع البرنامج الذي قدمه الباشا بنسعيد، وكان هذا الاجتماع بتاريخ 19 ربيع الأول (1319هـ) (6 يوليوز 1901م).

ولقد تحدث ابن المترجم السيد الحاج العربي بنسعيد عن سبب هذا الاستدعاء فقال :

«ولما التحق (والدي) بالأعتاب الشريفة، وفق الأمر المطاع، وقوبل من الحضرة المولوية بغاية الحفاوة، ومزيد التكريم والاعتبار، وكان القصد من استدعائه، هو النظر فيما وصلت إليه الحالة بالمغرب ونظمه، وما اعتراه في داخل سياسته المادية والاقتصادية، وما أصابه من التدهور والانحلال في الحكم والتسيير، حتى انقلب الرأس على العاقب، بسبب اختلال النظام، وعم الفساد الخلقي، وفشا بين الدور والبيوت، والمدن، والقرى، وظهر وانتشر، وكثرت الرشوة والارتشاء من بين موظفيه، وعمت البلايا فيه، وانتشرت الحماية بين أهله وذويه، وتنافس الناس في اعتناقها، وتشوفت وامتدت اليد الأجنبية العاتية، طمعا في بلادنا، واتخذت لذلك الوسائل والحيل، ونصبت الشباك والحبال، واتحدت المطامع والمصالح الأجنبية، وأكثرت من التدخلات الفضولية الغير الشرعية والقانونية في الأحكام وغيرها، وفي الأمور الداخلية، ووجدوا في بعض محمييهم من يعينهم ويناصرهم على ذلك، ويفتح لهم الطرق والمسالك ويسعى لبلاده في جلب المهالك، وحيث كان الأمر الذي وقع الاستدعاء من أجله هو ما ذكر آنفا، وإعطاء الرأي والاستشارة فيما يصلح الحالة داخليا وخارجيا ويردها لمجراها الطبيعي، عقدت اجتماعات بالوزارة الخارجية، للنظر والتبصر في نفس القضية، واتخاذ حلول بها، ودراستها من جميع وجوهها، مع من عينوا من رجالات الحكومة، ووقع الأخذ والرد فيها، وبعد المداولة وتبادل الآراء في مناقشتها، صدر الأمر الشريف بأن يكتب كل واحد نظره ورأيه، وما أداه إليه اجتهاده من التفكير في طرق إصلاحه، ويقدمه لمعالي الأعتاب، فكان مما شرح الله به صدر والدي، وفتح عليه به، ما يقف القارئ عليه في هذا الكتاب، وهذا نصه حسبما عثرت عليه في جملة مبيضاته».

مذكرة بنسعيد حول اقتراحات لمعالجة الحالة بالمغرب قدمها للسلطان المولى عبد العزيز

كتب عبد الله بنسعيد مذكرة تاريخية، ضمَّنها اقتراحاته لمعالجة الحالة بالمغرب، في مطالع القرن العشرين. وفيما يلي نص هذه المذكرة التي تلقي الضوء على شخصية المترجم له.

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وبعد، فهذا ما ظهر لكاتبه فيما شرح الله صدر مولانا أمير المومنين، المحفوف بعناية رب العالمين، من مصالح رعيته السعيدة، أيد الله نصره، وأعلى في الخافقين ذكره ووفقه لما يزان إليه أمره.

الفصـــل الأول

انه يمكن تلافي حالة الايالة الشريفة، بدوام العدل والاستقامة، وعقد السلم مع جميع الأجانب، لِأَمَدٍ كافي، والأخذ بالاستعداد من جديد على منوال ما ياتي بيانه :

إن المعارف لدينا أسرع رجوعا، وأجدر عرفانا، بجميع أنواعها، في أقرب زمان وأسرع مدة، لأنها منا أخذت، وإلينا تعود أشرق ما يكون، لكن مع اطمئنان في السياسة، وعدل في الرعية واشعارها بمستقبلها مع الأجانب، وتوفير الجبايات، لافتقار الاستعداد الجديد إلى مدخول له بال، به صلاح تلك الحال، بعون الله.

إن الأسباب المعينة بفضل الله كثيرة، منها حسن التربية، وضعف العوائد، وجودة الصادرات بأنواعها الثلاثة، الحيوان، والنباتات، والمعادن، وكثرتها، وقلة الخارج بنسبة دخل الدولة حفظها الله.

وان رابطة الاسلام أعْلَى الله مناره، من أقوى الروابط، وأعلى الأسباب، وأمتن الحصون على منع سواها من النفوذ في سياستها، وحجرها للغير عن سومها بسوء، وكلما زادت قوة، علت سطوتها، وارتقى نفوذها وما بالعهد من قدم، انظر دولة مولاي محمد بن عبد الله قدس الله روحه في اختيار أناس ذوي مروءة ودين متين، وأمانة نفوس، وسلامة صدور، وشجاعة قلوب، فصاراهم رفع الدين وأهله، غافلين، عن نفع أنفسهم، وعن جاههم بقصد القيام بالوظائف التي يحدث تجديدها، أو نجعلهم إعانة لذوي الأعمال، المكلفين حينه، مع إعطائهم الكفاية وتوعدهم على الجناية بالعقوبة، وأن طرأ عارض بدلوا.

وإحداث مدارس، لتعليم مهمات جديدة، يتوقف نفوذ النجاح عليها وعلى معرفتها، وذلك من الاستعدادات المأمور بها.

الفصــــل الثانـــي

عامل كل إيالة يدفع له كناش، لضبط تصرفه مشتملا على ما ياتي في أموره وما يذر، والتي من جملتها ما دفعه كل واحد من الرعية، معلما عليها بخطه أو طابعه في ورقة من كناش مقتطع.

الفصــــل الثالـــث

يكون بكل بلدة مجلس مؤلف من أهل العلم، والمروءة، والجد، والديانة، والمعرفة، بقصد النظر في مصالح البلد، كالأوقاف والأسعار وغيرها، ويرجع إليه كذلك فيما عسى يصدر من العامل لرعيته، سواء عامل البلدة أو غيرها من العمال المجاورين لها، وإذا ثبت عنده جور

العامل على الرعية، بعد البحث التام، يكتب له فيه، فإن انصف فذاك، والا فيطلع به شريف علم مولانا المنصور.

الفصـــل الرابـــع

انتخاب أماثل الناس وأفاضلهم المجربين للأمور، الذين تطمئن بهم النفس، للقيام بهذا الوظيف، ويعين لهم من الأجور، ما يكفيهم الكفاية التامة، ويقوم برفاهيتهم على ما ينبغي، لينقطع تشوفهم لمد اليد مطلقا، وكذلك ترتب لجميع خدام الحضرة وكرائها، الراتب المعتبر الكافي.

الفصـــل الخامـــس

تحد إيالة كل عامل، ويحصي جميع ما اشتملت عليها من الأراضي والأجنان، وما في معناها، بفلاحين وتاجرين وعدلين من الحاضرة وأربعة من مهرة تلك الايالة، بمحضر عاملها أو نائبه، ويتخذ لذلك كناشا، يشتمل على جميع تلك الأراضي، بحدودها وكيلها، ليكون العطاء على نسبة مقاديرها في الأرض البيضاء، وعلى نسبة ما تأويه الغلة في ذات الأشجار.

الفصـــل الســـادس

عند تمام الكناش على الوجه المطلوب، يدفع لعامل الايالة، بعدما يوجه نظيره لشريف الأعتاب، معلما بعلامة عدلين والعامل.

الفصـــل السابـــع

ما تنتجه تلك الأراضي من الغلال ذات الزكاة الشرعية، يحاز من أربابها على الوجه الشرعي، ويصرف في مصرفه الشرعي، وكذلك الماشية ذات الحوافر، فيكون مقدرا بقدر سنوي لكل رأس، ويحاز من البوادي والحواضر على السواء.

الفصـــل الثامـــن

الرباع والدور والفنادق والحوانيت، وما في معناهما، يعين لهما تاجران وعارفان، وعدلان، مع العامل أو نائبه، لتقويم كرائهما، ويكون العطاء على نسبة كرائها، لا على ثمن رقبتهما خفيفا، لأن أهل الحاضرة، ليسوا كغيرهم من البادية في الضروريات والصوائر.

الفصـــل التاســـع

يكون العطاء عاما على جميع الايالة، شريفها ومشروفها، والأعيان وغيرهم.

الفصـــل العاشـــر

يتخذ بالأعتاب الشريفة كناش بتفصيل الايالة السعيدة، وتقسيم أقسامها، وبيان أرض كل عامل، ومساحتها، وما اشتملت عليه، من القطع، ليكون أصلا وحجة يرجع إليه.

الفصل الحادي عشر

إذا حصل الأمن للرعية، تقع الحرية لا محالة في الأخذ والعطاء، فتنمو سائر أنواع التجارة وأسبابها، وتسري سريان الماء في العود، ويسوغ إذ ذاك للمخزن أعزه الله، تسريح بعض الأمور الممنوعة الوسق، لأجل معلوم، عند الأستغناء، وعند ذلك يتضاعف مدخول المراسي السعيدة وغيرها، ويعمر بيت المال السعيد، عمره الله ووفره، بوجود مولانا أعزه الله ونصره.

الفصل الثاني عشر

إذا فتح الله تعالى وظهرت النتيجة، وأراد المخزن أعزه الله، وسق عدد من الأمور الممنوعة الوسق، مثل أناث البقر والغنم وذُكْرَانِها، والقمح والشعير والخيل والبغال، فتسرح لوقت معلوم، ويعين القدر المصرح من كل مرسى، وتعطى به سنية، يكون نصف العدد المصرح، لأهل الايالة والنصف الآخر للأجانب، ويقسط لهم على التساوي، ويكون ذلك لأجل محدود.

الفصل الثالث عشر

إذا أراد سيدنا نصره الله، بيع شيء مما ذكر في الفصل قبله، يسقط هذا العدد من القدر المصرح، ويباع النصف للرعية، والنصف للأجانب كذلك.

الفصل الرابع عشر

ترتب قراءة دعاء الناصرية (يا من إلى رحمته المفر، ومن إليه يلجأ المضطر) في جميع مساجد الايالة، بادية وحاضرة، بعد قراءة الحزب، ويكون يعطى لمعلمي الصبيان على قراءتها كل يوم مرة، بجميع المكاتب، قدر يسير من الأحباس، أو بيت المال، لكل معلم، لأن الأطفال قليلوا الذنوب، وينظر الله تعالى إلى عباده العصاة بسببهم، فلاشك أنه يستجاب دعاؤهم ويكفي الله الأمة شر الأشرار بسببهم.

وكذلك يترتب في كل مدينة من المدن في أربع محلات منها الحزب الكبير واللطيف والوسط والشفاء ويرتب خراج شهري.

الفصل الخامس عشر

ترتيب العسكري السعيد، وجعل المؤونة الكافية له، وجعل حرّابة من

مهرة المسلمين، وان يأذن سيدنا أيده الله، جميع من بايالته، لتعليم العلوم العسكرية ويأمر بتدريب الأولاد على الرماية، وركوب الخيل، ويؤمر الموسرون بشراء الخيل لأولادهم، عوض البغال، وكل من في الخدمة المخزنية يكون يركب الخيل، دون البغال، إلا لضرورة، ويكون من جملة تعليم الأولاد تعليم الرماية والحرب، مرة في الجمعة، بادية وحاضرة أغنياء وفقراء، ويؤمر كل موسر، بشراء فرس، يكون عنده سواء ركبه أم لا.

الفصل السادس عشر

أن يتخذ المخزن عددا وافرا من السلاح الجديد، من أول درجة، وما يكفيه من القرطوش، يكون مدخرا بخزائنه السعيدة، والأولى هو السعي في الاقتدار على منعه بالايالة السعيدة.

الفصل السابع عشر

أن يكون مع كل قاض من القضاة، في كل محل أربعة من أعيان الفقهاء، وكاتبان، بقصد كتابة جميع الدعاوي التي تروج باللفظ في كناش، ولا يبرم أمرا ولا يمضيه إلا بمشاورة الفقهاء المذكورين، وجميع ما كتب في اليوم، يضع عليه علامته، والعلماء معه خطوط يدهم، ويكون يجلس للفصل هو ومن معه أربع ساعات في اليوم، وتكون معينة تلك السوائع للخاص والعام، وفي كل شهر يوجه نسخة مما دار في مجلسه لشريف الأعتاب إذ بذلك تنضبط الأحكام ويقل الجور بل يضمحل بحول الله.

الفصل الثامن عشر

يكون بالأعتاب الشريفة، قاض عالم كبير محنك، ومعه عدد من أعيان العلماء، بقصد مراجعة القضايا التي ترجع للحضرة الشريفة،

ومراجعة الكنانيش التي ترد من الآفاق، ويكتبون ذلك أيضا، ويبقى بمحل خدمتهم في الحضرة الشريفة ويعلمونه.

الفصل التاسع عشر

أن يصدر الأمر الشريف لجميع الايالة، بأن يتركوا أرضا تصلح للحراثة، خالية من الحرث، فمن كانت له أرض يحرثها من ماله إن كان له مال، ومن لم يكن له مال، فإن سيدنا أيده الله يعطيه من زرعه، ما يزرع به بلده، ومن العذائر السعيدة، الثيران التي تكفيه للحرث، بثمن مزيد فيه نحو 25 % خمسة وعشرون في المائة، أو 30 % ثلاثين في المائة، ويمهله إلى السنة القابلة، إن كانت الصابة، والا فإلى السنة التي بعدها، ويضع رسم البلد رهنا، أو يعطي ضمانا، وهذا ما فتح الله تعالى به، مع فرط استعجال، وعسى أن يمن سبحانه بغيره، ويكون بهمة مولانا، محمود العواقب في الحال والمآل.

ونرجو الله ببركة مولانا، وبركة جده عليه أفضل الصلاة، وأزكى السلام، أن يحصل نجاح الدولة المالية وفلاحها، وعناية الله تحرس اليوم وتغدو باعلام النصر والنجاح، وتروم وكتبه خادم الأعتاب الشريفة. محمد عبد الله بنسعيد كان الله له».

* * *

ولقد علق أحد الباحثين على الاجتماع الذي عقده المولى عبد العزيز لدراسة الأوضاع العامة التي كان عليها المغرب إذ ذاك فقال : «في السادس عشر من ربيع الأول 1319 شهدت الايالة الشريفة حدثا لم يتقدم له نظير في تاريخ المغرب، ففي ذلك اليوم، استدعى جلالة السلطان المولى عبد العزيز، أكابر رجال الفكر والسياسة والسلطة، في قصره بمراكش، وأخذ يدير بنفسه مناظرة حول وضعية البلاد، وطرق إصلاحها، وكان يجلس إلى جانب السلطان وزيره في الشؤون الخارجية ابن سليمان وبعض الوزراء وأركان الدولة، وأخذ السلطان يسأل الحاضرين

عما إذا كان كل منهم قد هيأ العرض المطلوب منه وضعه، ثم التفت إلى يساره حيث كان يجلس رجل في الخامسة والثلاثين من عمره، مستدير الوجه واللحية، عميق النظرات، بادي الوجوم، وقد اتشح بالكساء الحريري، وكأنه يخفي أطراف وجهه، وقال السلطان للرجل : القائد ابن سعيد، لقد قرأت نصائحك ومقترحاتك لاصلاح الحال، فهلا سميتها دستورا لإيالتنا الشريفة. قال بنسعيد : نصر الله سيدي وقواه، ما بيدكم ليس سوى خطوط للاصلاح، وهي مفتقرة إلى مراجعة سيدي وتأييده. قال السلطان : ان مقترحات القائد بنسعيد، تتكون من تسعة عشر فصلا وهي طويلة، فقد تأخذ منا كل هذا اليوم، وربما الغد أيضا، إذا ما رمنا تحليلها والمذاكرة حولها، وإني لأرى أن نقتصر على الحديث عن بعض الفصول فقط، وبعد أن عدد الوزير ابن سليمان تلك الفصول، أخذ القائد الحديث فتحدث عن الفصل الثالث والخامس والعاشر والحادي عشر والخامس عشر والسادس عشر والتاسع عشر» قال الباحث الذي نقلنا عنه التعليق : «وكان القائد يقرأ الفصول بهدوء، ويتولى شرح مدلولاتها شرحا مختصرا، ولم يكن السلطان ينتبه إلى القائد، بقدر ما كان يجيل بصره في الحضور، يلتمس الانفعالات المتباينة، وردود الفعل لكل من ضمه المجلس، وأخذ المؤتمرون يديرون مناقشات فيما بينهم وبين القائد، الذي كان يتلقى ملاحظاتهم وانتقادهم بهدوء، ويحاول أن يقارن بين مقترحاته وبين ما أخذت به دول إسلامية، كأفغانستان وتركيا، وأراد الوزير ابن سليمان أن يحرج القائد، فاتجه إليه بالسؤال : إنك تقول في الفصل الخامس عشر أن يأذن سيدنا جميع من بإيالته لتعليم العلوم العسكرية، وفي الفصل الذي قبله تقول : ترتيب قراءة دعاء الناصرية : (يا من إلى رجمته المفر ومن إليه يلجأ المضطر) في جميع مساجد الايالة، بادية وحاضرة، بعد قراءة الحزب، ويعطي لمعلمي الصبيان، قدر يسير من الأحباس، أو بيت المال، فهل نترك الشبان في المساجد يذكرون الأوراد الناصرية، أو نعلمهم الفنون العسكرية في الجبال والوهاد ؟ ويحكي ابن القائد بنسعيد وكان قد سمع هذا الحديث من والده، أن القائد انتفض عند سماعه تلك الاشارة من الوزير، وأراد أن يقامر بمنصبه

ومستقبله، ومصير دستوره، في سبيل أن يدافع عن كرامته داخل هذا المجمع الذي لا يريد لخططه نجاحا. قال القائد بنسعيد : يا سعادة الوزير أين أسطولك بين الأساطيل ؟ أين عسكرك وقوتك الحربية بين الدول الطامعة في أخذ بلادنا، ان لم نستمدها من الله عن طريق الالتجاء إليه، والتوصل إليه بصبياننا وشيوخنا.

وأسقط في يد الوزير، وظل ينتظر رد فعل من السلطان، ومرت فترة من الصمت قبل أن يهتف ابن سليمان : انني قلت ذلك على سبيل الفكاهة والمباسطة، وبالطبع، فإنني على فكرتك في الاستعانة بالله، وطلب العون منه، والاستمداد من حوله وقوته.

ومرت على هذه الاجتماعات ثلاثة أشهر، رغب المولى عبد العزيز أثناها، كما عمل بعدها على أن يطبق ما اقترحه عليه القائد، ولكن الظروف العامة في البلاد، واختلاف آراء المسؤولين حولتا دستور بنسعيد، إلى الحلم الجميل الذي لا يمكن أن يتحقق.

ولكن في شهر رجب صدر ظهيران شريفان. يعين بمقتضاهما القائد عبد الله بنسعيد لاحصاء الأملاك المخزنية، وتقييد ما بالابراج من السلاح والذخائر الحربية وذلك في الصويرة وآسفي والرباط.

يظهر القائد عبد الله بنسعيد جالساً في الصورة وسط جماعة من الأعلام
في دار النيابة بطنجة وهو مشار إليه بعلامة

القائد بنسعيد يحذر من تآمر الفرنسيين

في رسالة خطية، مكننا منها ولد المترجم، السيد ج العربي بنسعيد المذكور، نجد الباشا عبد الله بنسعيد، يحذر كل التحذير من المطالب التي قدمها الفرنسيون إلى السلطان، منذرا بسوء العاقبة، ان انصاع المغرب لها، مؤكدا على ضرورة رفضها جملة وتفصيلا، لافتا نظر المخزن الشريف، إلى أن ما يقع بين الدول المتحالفة ضد المغرب من اتفاقات ومعاهدات، لا يلزم المغرب بشيء، ما دام لم يوافق ولم يستشر في تلك الاتفاقيات.

والرسالة المذكورة موجهة إلى الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني(6) وهي تدعو وتلح على ضرورة ووجوب النصح لأمير المؤمنين لما فيه حماية بيضة الدين ثم تقول : (لا يخفاك ما فاهت به الألسن، وسطرته الأقلام بين الأنام، في شأن أرضنا الطيبة الطاهرة، ومنبت الصالحين، ومقر الموحدين، حتى تشوف إليها العدو الأحمر، ولم يعارضه إلى الآن منا منكر، ولازال طمعه يمتد، مادام لم ير الانكار من أحد، وها هو نائبه الملعون، قد خرج من ثغر طنجة، قاصدا حاضرة فاس، معتمدا فيها على بعض الناس، وقد استفدت من عدة طرق، بأن له مطالب سيطلب تنفيذها من المخزن المحروس بالله، منها تكليفه بترتيب دخل المراسي وتنظيمها على نمط المراسي الفرنسوية، نعوذ بالله من شر ذلك، ومنها انتصاب أمين (بل خائن) من بني جنسه، بدار المخزن يشارك أمناء الجناب العالي في الرأي والتدبير، فيما يرجع للأمور المالية من دخل وخرج، ومنها توظيف واحد من بني جنسه بصفة مستشار

(6) وقد استنتج الأستاذ مصطفى بوشعراء في المجلد الثاني من كتابه : التعريف ببني سعيد السلاويين ان تاريخ كتابة هذه الرسالة قد يكون هو سنة 1904م.

ومدير، يكون دائما مع المخزن أينما حل، مثل الشعرة تحت اللسان، نعوذ بالله من شر ذلك، ومنها تكليف الباشدور الفرنسوي بطنجة بحفظ الحراسة العامة، وحراسة البلاد ونواحيها، برجال يجلبهم من الجزائر، يكونون تحت أمره ونهيه، وبعد الاستيلاء ووضع اليد على طنجة ونواحيها : يعمم ذلك على بقية المراسي ونواحيها، ثم يدخل بسياسة وخديعة لمراكش بالحوز، وفاس بالغرب، ومنها تكليف حرابة من الفرنسيين، بتنظيم جيوش المسلمين، بل بحصر قوة المسلمين، وعدتهم بيده لا سمح الله بذلك، ومنها عرض سلف آخر على المخزن، لا قدر الله ذلك، وصرف القدر المستقرض في إصلاح الطرق والمراسي، على يد أناس من الفرنسيين تحت نظر نائبهم، بطنجة اللهم اكفنا شر ذلك. فهذه هي جملة المطالب التي سيطلبها نائب الافرنسيس من المخزن، وهذه مدة، وهو يدبر ويستعد سرا بمشاركة بعض الأشقياء بدار المخزن، الذين لا غيرة لهم على وطنهم، ولا على دينهم، الله أهلك من رام أو رضى بهلاك المسلمين، واعلم سيدي، أن الفرنسيس ليس له قوة ولا قدرة على الزام المسلمين، وهو مع شدة خوفه منا طمع فينا، بسبب ما رأى في بعض الرجال من الخوف منه. وهل يخاف من الكافر إلا من كان ناقص دين، وضعف في اليقين. وقصد هذا العدو، هو التدخل في أمور بلادنا في المسائل المالية والادارية والعسكرية بوجه معين... وإذ ذاك يصعب على المسلمين مقاومته وطرده، بعدما مكنوه من مال المسلمين وجيوشهم، لا سمح الله، ولاشك أنكم سمعتم بالاتفاق الذي وقع بين الانجليز والفرنسيين، فيما يتعلق بأحوال المغرب، وصورته ان الانجليز قد تسامح للفرنسيس بأن يتقرب من المخزن قربا خاصا، وإذا استحصل على امتيازات ومنافع، كالتي أشرنا إليها في المطالب أعلاه وبيناه فإن الانجليز لا يزاحمه فيها، ولا يطلب من المخزن ما يقابلها، على مقتضى شروطاته، وأما الاسبنيول، فإنه لم يسلم للفرنسيين في حقوقه في الغرب المبنية على المعاهدات القديمة، وقد انتصر كل الانتصار لجانب المغرب، وأعانته بقية الأجناس على ذلك، وآخر الأمر التزما معا، أعني الفرنسيين والأصبنيول على استقلال مملكة المغرب، وعدم مس أرضه

بوجه من الوجوه، وأعلنوه جميعا بوجه رسمي، ليس فيه شك بأنهما قد اتفقا والتزما الالتزام الكلي، باحترام مملكة المغرب، واحترام السلطنة القائمة به، وإذا حصل أحدهما على امتياز، فللآخر أن يطلب ما يقابله، فتحصل مما ذكر أن وجه الغصب، قد وقع الاقرار والالتزام بابعاده، وعدم استعماله بوجه من الوجوه، ولم يبق بيد الفرنسيين إلا استعمال الخدائع والحيل والمكيدة. فتارة يتهدد، وتارة يرشى، وتارة يتذلل، حتى يحصل على امتيازات، ويبني في أرضنا حقوقا تنمو بنمو الأيام، إلى أن يعظم أمرها، ويصعب فكها، كما وقع ذلك في تونس ومصر، حتى آل مآلهما إلى ما ترى، فرج الله على المسلمين، فبمقتضى ما ذكر، وذلك نقطة من بحر الخديعة ومكر الكافرين، فإني أعرض على جنابك بصفتك الشاكي الباكي الحائر أن هذا الحال ، لتنقذ مولانا من شبكات الخديعة والمكر، فقد أحاطت به أناس، لا يعرفون الله، ولا الرسول، يحسبهم الانسان منا وهم منهم، اللهم أكف المومنين شرهم، وهذا والمشورة واجبة بالكتاب والسنة والعقل، ولذلك نطلب الله أن يلهم مولانا، ويسرنا بجمع العلماء والأكابر، ويعرض عليهم مطالب الفرنسيس كتابة، وبعد النظر فيها والتأمل يجيبون عنها، فما وافق مصلحة المسلمين يقبلونه، وما فيه ضرر يردونه بالتي هي أحسن، ولابد ثم لابد ثم لابد أن يطلب سيدنا من نائب الفرنسيس، بأن يقدم جميع مطالبه بالكتابة، ولا يقبل أبدا أبدا أبدا أي مطلب كان حقيرا أو جليلا بدون كتابة، والحذر كل الحذر، والاحتراز كل الاحتراز، من الخوض مع نائب الفرنسيس، فيما اتفق به مع الانجليز، أو مع الاسبنيول، بل مهما تكلم نائب الافرنسيس مع المخزن في هذا الموضوع، وذكر الاتفاق الذي وقع بينه وبين الجنسين المذكورين، إلا ويجاب بهذه الكلمات الخفيفة على اللسان، الثقيلة في الميزان، وهي : اعلم أيها الباشدور، أن الدولة الفرنسوية لما أرادت أن تتفق مع الانجليز أولا، ومع الاسبنيول ثانيا لم تطلب من المخزن أن يدخل في هذا الاتفاق، ولا أعلمته بمضمنه، ولا طلبت منه المساعدة

والموافقة عليه، فهذا الاتفاق كيفما كانت أهميته، هو كالشيء المعدوم في نظر المخزن، وعليه، فإن المخزن لا ينظر إليه، ولا يقبله، ولا يعتبره بوجه من الوجوه، وإنما الذي يلزم المخزن هو ما يقبله بطيب نفس منه، ويتفق عليه بطابعه، وخط يده رسميا، فذاك هو الاتفاق الموافق للشرع والقانون، واجب تنفيذه والمومن إذا عاهد وفى».

هذا ما استطعت الحصول عليه من هذه الرسالة الهامة، ويظهر أن تتمتها ضاعت بين أوراق المترجم، ولم يستطع الحصول عليها ولده الحاج العربي بنسعيد رحمه الله الذي زودنا بها، مشكورا، والرسالة مبعوثة من طنجة، عندما كان المترجم بدار النيابة، وهي مكتوبة بخط ولده السيد ادريس الذي كان بمثابة كاتب خاص له، والذي نتمنى أن نترجم له في مناسبة أخرى بحول الله ومعونته.

إن الممعن في هذه الرسالة التي وجهها القائد عبد الله بنسعيد، إلى الشيخ الكتاني، يدرك دون مشقة أن الرجل كان من الوطنيين الأحرار، الذين يحرصون كل الحرص على استقلال بلادهم، ويعملون بكل الوسائل التي بين أيديهم، لابداء النصح والتحذير، حتى لا تقع فريسة في أيدي الاستعمار الفرنسي، وانه في رسالته يدرك الأطماع المتعددة لفرنسا في المغرب، والوسائل التي تستعملها لبسط نفوذها على جميع مرافق الحياة في بلادنا، حتى تصبح وكأنها مستعمرة لها، والرجل يدرك كشخصية سياسية واعية تمام الوعي، أن وسائل الاستعمار متعددة ومتنوعة، وأنه إذا لم يستطع فرض سيطرته عن طريق القوة، فإنه سيستعمل طرقا ملتوية، وأساليب شيطانية، واغراءات متعددة، مستغلا بعض الشخصيات المغربية الموظفة بدار المخزن، والتي وصفها بالأشقياء، والتي لا ضمير وطنيا لها، ولا غيرة لها على وطنها ودينها، كما يشير إلى التحالف الفرنسي الانجليزي الذي بمقتضاه تنازلت فرنسا عن أطماعها بمصر، مقابل تنازل انكلترا عن أطماعها بالمغرب، ويؤكد أن الالتزامات الدولية، والاتفاقات الموقع عليها من طرف الدول الأجنبية، التي اهتمت بالقضية المغربية، كلها تضمن احترام استقلال المملكة المغربية، ومؤازرة السلطة الشرعية. ولا يكتفي بنسعيد بتوضيح الأخطار التي تهدد استقلال

المغرب بسبب الأطماع الفرنسية، بل يشير بالطريقة التي ينبغي اتباعها، للخروج من هذا المشكل العويص، الذي لابد فيه من الحيطة والحذر، بأن يقع اجتماع أهل الحل والعقد من العلماء والأكابر، لتقدم إليهم المطالب التي تطالب بها فرنسا، والتي يجب أن تكون مكتوبة، فيقع تدارسها بإمعان وتأن، ثم يقع الرد عليها، حسب ما تقتضيه مصلحة البلاد، وهي التفاتة من بنسعيد لها أهميتها التاريخية، فهو يريد أن لا يكون مصير بلاده بأيدي زمرة من الأشقياء، الذين لا غيرة لهم على وطنهم ودينهم. بل يجب أن يعرض الأمر على أهل الحل والعقد من الصالحين في الأمة، الذين يكونون في جانب السلطة الشرعية، يتحملون معها مسؤولية القرار، ويدرسون معها الوسائل التي تصون كرامة البلاد، وتحفظ استقلالها، وتقيها الأخطار التي تهددها.

وكأني بالباشا بنسعيد، كان يتتبع عن كثب، الأدوار التي كانت تقوم بها السياسة الفرنسية، لبسط نفوذها الكلي على المغرب، ويدرك مراميها جميعها.

لقد كانت الحالة في المغرب جد مخيفة، وكانت الأيادي الأجنبية تعمل عملها، للزيادة في الارتباك، واشعال الفتن، وعرقلة كل إصلاح تريد السلطة الشرعية أن تقوم، به وزاد في الطين بلة، أن الوعي السياسي كاد أن يكون مفقودا لدى مختلف الأوساط، باستثناء قلة قليلة من الأفراد، وكان الرجال المحيطون بالمخزن الشريف، يمثلون تيارين مختلفين، أحدهما يريد الاعتماد على الانكليز، والآخر منساق إلى السياسة الفرنسية، كانت السياسة الفرنسية نشيطة للغاية، وتريد أن تصل لتحقيق أهدافها الاستعمارية بكل الطرق والوسائل السرية والعلنية. اما انكلترا فكانت منشغلة بحرب «البوير»، ورغما عن تطلعها الشديد لبسط نفوذها الاقتصادي وغيره على المغرب، فإنها لم تجرؤ على القيام بعمل جدي، يساعد المغرب على التغلب على صعوباته، وإنما اكتفت بتقديم نصائح للمتصلين بها، وفي طليعتهم المنبهي وغرنيط وبن يعيش كي يقوم المخزن بإدخال إصلاحات على البلاد، من شأنها أن تحسن سمعته

الخارجية، وتقطع الطريق على ما تشيعه فرنسا، من عجز للمخزن، وعدم محاولته القيام بأي إصلاح، ينقذ البلاد من ورطتها.

لقد كان للنصائح الانكليزية، أثر على المسيرين لشؤون البلاد، فتقرر القيام بإصلاحات في المواصلات، والموانئ، والجمارك، وتوطيد الأمن، وتطوير التجارة، ولكن فرنسا وهي المتتبعة للأحداث، كانت تقف ضدا على القيام بأي إصلاح، خشية أن تقع بواسطة الانكليز، أو غيره من الدول، وهي تريد أن تستأثر بكل ما يخص المغرب من اصلاحات، حتى يبقى دائما في قبضتها.

وبالرغم من معاكسة فرنسا وعراقيلها، فقد وقع الاتفاق من رجال الدولة على اختلاف ميولهم، على إدخال الاصلاحات الضرورية على جهاز الدولة واقسموا على أن يبدؤوا بأنفسهم، ليكونوا قدوة لباقي الموظفين، فأقسموا على أن يمتنعوا عن قبول منحة تسمح لهم بالحصول على ملكية جزء من أملاك المخزن، أو أي انعام، أو هدية، حسبما كان متبعا من قبل، ومعاقبة من يفعل ذلك، بإبعاده عن الحكومة، وانزال العقاب به، كما الزموا الموظفين أن يقسموا على القرآن، أن يقوموا بواجبهم بأمانة، والا يذيعوا أسرار الدولة، أو يخونوها، وألا يقبلوا أموالا، أو هدايا، من الناس التابعين لادارتهم، كما الزموا الباشوات والأمناء والقواد على أن يقسموا بالامتناع عن أي استنزاف، كانوا يتهمون بارتكابه في الماضي، وفي الوقت نفسه، اتفقوا على تطبيق بعض الاصلاحات والترتيبات الجديدة. كفرض ضرائب سنوية، يتساوى في دفعها الجميع، بمن فيهم الاشراف، ومطلق الناس، والتجار، والأوربيون، والمحميون، وغيرهم، كما قرروا إجراء إحصاء عام للسكان، وتقدير ثروة كل واحد، وما يملكه من أرض، وعقارات، وحيوانات، وغير ذلك، وقرروا حرمان القواد ورجال السلطة من الاستنزافات التي كانوا يقومون بها من أفراد الشعب. وقرروا إلغاء الامتيازات التي كانت تمنح لبعض قبائل الجيش، والاشراف، والطوائف الدينية، إلى غير ذلك من الاصلاحات التي كانت تفرضها الضرورة. ولكن المنتفعين من الامتيازات، والأغنياء الذين رأووا أنهم سيؤدون الحقوق المترتبة في أموالهم، عارضوا معارضة قوية كل

هذه الاصلاحات، واستنجدوا ببعض العلماء الذين افتوهم بأن فرض ضرائب «الترتيب»، مخالفة لتعاليم الدين الحنيف، كما أن القواد ورجال السلطة وبعض رجال القبائل، رفضوا الانصياع لهذه القرارات، لدرجة أن بعض جباة الضرائب، قوبلوا بالرصاص، الأمر الذي خلق وضعا جديدا كاد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.

الوزير المفوض الفرنسي يحذر السلطان مولاي عبد العزيز

وزاد الأمر خطورة معارضة فرنسا العلنية لهذه الاصلاحات وغيرها، معتبرة أنها من وحي انكلترا، التي تريد أن تشاركها في بسط نفوذها على المغرب، وهكذا قدم الوزير الفرنسي المفوض «سانت رينيه تاياندييه» (Taillandier) تحذيرا شديدا للسلطان عبد العزيز، منذرا له بأن الاقدام على تطبيق هذه الاصلاحات، لا يخدم مصلحة المغرب ولكن يخدم مصلحة أخرى، وان الاصرار على تطبيقها، يضر بمصلحة فرنسا قائلا : (ان موقف فرنسا إزاء المغرب، ليس كموقف الدول الأخرى، فلها حدودها المباشرة والممتدة على مسافات واسعة مع المغرب، كما أن ممتلكات فرنسا، تحيط بالمغرب، وينتج عن هذا مصالح مشتركة، وحقوق وواجبات متبادلة، تعطي طابعا خاصا للعلاقات بين المغرب وفرنسا، ذلك لأن كل ما يهدد سلامة الجزائر، يهدد المغرب، وكل ما يهدد استقلال المغرب التام، يهدد أيضا الجزائر، وقد شبه «تاياندييه» وضع البلدين بصديقين يملكان بستانين متلاصقين، وكل منهما لا يطمع بتركه الآخر، وكل منهما، مستعد لأن يقدم لجاره مساعدة ودية، ولكن إذا تنكب أحدهما جانب الحكمة، بأن ترك أجانب يقيمون في بستانه، فإنه يخاطر بأن يفقد سيادته عليه، وبإثارة قلق جاره، فإنه يجبره على اتخاذ الاحتياطات، ولفت «تاياندييه» نظر السلطان إلى أن تدخل الأجانب في شؤون المغرب، يجبر فرنسا على اتخاذ قرارات خطيرة[1].

لقد تضاعف تشوف فرنسا لبسط نفوذها على المغرب، واهتمت

(1) المسألة المغربية ص 125 و126.

الأوساط الفرنسية، والتكتلات الفرنسية، والمؤسسات الاقتصادية الفرنسية بقضية المغرب اهتماما لا مزيد عليه، وكان الجميع متفقا على الاجهاز على بلادنا بطريقة أو أخرى لدرجة أن «يسجونزاك» وهو يعادل في الخبث والمكر «دوفوكولد» قال في محاضرة ألقاها في مدينة «روان» سنة 1902 (لكي ينهار المغرب، ينبغي أن نعمل فيه الفأس، وهذا القرار العنيف ليس فيه ما يخيفنا)(2) وجاء في خطاب ألقاه «أوجين اتيين» سنة 1903 انه (يوم تحل المسألة المغربية، فإن فرنسا تكون قد أنهت في افريقيا عملها الاستعماري... وستكون امبراطوريتها كبيرة بما فيه الكفاية، لارضاء نشاطها، فستجد هناك الغذاء الضروري لرؤوس أموالها، التي تستخدمها بعض الأحيان بصورة فريدة، ومراكز لأبنائها الذين لا يجدون لهم مراكز في الوطن الأم. وأسواقا لبضائعها، ومواد أولية لصناعتها)(3).

وكتب «رينيه مييه» وسبق أن كان مقيما عاما بتونس يقول : (إن المغرب بالنسبة للاستعمار الفرنسي، احتياطي، لا نستطيع أن نسمح بانتقاله إلى يد أخرى، فالتجارة الافرنسية مع المغرب واسعة، ثم يقول في صراحة متناهية : (إن دور فرنسا الحقيقي، يقوم على أن تقول بوضوح ما تريد وما لا تريد، وان تستفيد من كل الحقوق الناجمة عن جوارها للمغرب، ومن كونها دولة إسلامية ؟ (كذا) كبرى، وان نضيق النطاق على السلطان، وأن نقيم معه وجها لوجه، في عاصمته القديمة الدينية، وأن نفرض عليه تحولا يجعله صديقا أكثر ما يمكن).

هذه الأجواء السياسية الخطيرة التي كانت تحيط بالمغرب، لم يكن يدرك أخطارها، الا القليلون جدا من أبناء البلاد، ومن جملتهم مترجمنا القائد عبد الله بنسعيد، الذي أدرك بحسه السياسي، وروحه الوطنية ما تتعرض له بلاده من أخطار، إذا لم تتدارك الموقف بما يجب اتخاذه من قرارات حاسمة، تصون كيان البلاد، وتحفظ استقلالها، وتعرقل المشاريع

---

(2) نفس المصدر السابق عن عياش.

(3) نفس المصدر عن Bulletin du Comité de l'Afrique française.

والمخططات التي يقترحها المستعمرون الفرنسيون، وهو في هذا يلتقي مع الاتجاه الذي كان يتجهه رئيس الوزراء، فضول غرنيط الذي كان يرى الصمود والمقاومة، ضد كل تدخل أجنبي، ومع رجال الحركة الدستورية، وجماعة جريدة لسان المغرب، وغيرهم من الفئات الواعية القليلة، وان الحل الصحيح لمقاومة التسلط الاستعماري، هو تزعم السلطان الشرعي لمعركة الجهاد، وعمله على أن يلتف الشعب جميعه نحوه وقيامه بالاصلاحات الجوهرية الضرورية، مستعينا بكل الدول التي تود أن تبذل مساعدتها للمغرب، وتنظيم مشكلة الجمارك، بمساعدة موظفين أوربيين من جنسيات مختلفة، حتى يسد الطريق على فرنسا التي تعمل على أن تستبد وحدها بالاشراف على الجمارك، كضمانة للقروض التي اقرضتها للمغرب.

لقد كان الواعون المشفقون على مستقبل بلادهم، حريصين كل الحرص على أن تقوم السلطة الشرعية بواجبها كاملا، ترفض الرفض القاطع، للمطالب التي تقدمت بها فرنسا لملك البلاد، ضمانا للاستقلال، وحفاظا على الكيان.

حول اجتماع بالقصر الملكي بفاس

وهذا ملخص لرسالة وردت من فاس مكتوبة بخط المرحوم الطاهر بن العربي[1] كما ذكر لي ذلك الحاج العربي بنسعيد، وجدها أيضا ضمن أوراق والده السيد عبد الله بنسعيد.

تقول الرسالة : وبعد، فليكن في كريم سيادتكم، هذه البشارة العظيمة الجليلة، ان سيدنا أعزه الله قام على ساق الجد والاجتهاد، وظهرت منه قوة عجيبة لم ... الظنون بها في جانب الفرانسيس اللعين ومطالبه ـــ فقد كنت أخبرتكم قبل هذه البوسطة، بما صدر بالأعتاب الشريفة، وبما وقع في الجمع، بروض الوزير مع الفرنسيين، فإن سيدنا نصره الله، أمرهم أن يسمع منه ولا يجاوبه أحد، فلم يقصر في التطاول،

---

(1) هو عمُّ الأستاذ الصدِّيق بن العربي الكاتب الباحث المعروف.

والجسارة، والطيش، والقوة، حتى قال لهم إنما أنتم صرتم من ...[1]
وسلم جميع الأجانب التصرف بالمغرب، وان لم تساعد على الشروط المطلوبة، فإن يد الفرنسيين طويلة عليكم، وقد انتخبكم السلطان من الثغور، لتوافقوا على هذه الشروط، فأجيبوني عن ثلاثة شروط وسلموها لنبين لكم غيرها. وأطال في الجسارة على عادته، نطلب الله والرسول ﷺ وآله وبركة مولانا الشيخ ومولانا الوالد رضي الله عنهم، ان يجعل كيدهم في نحرهم، وان يرجعه بالنكال والوبال وعلى أسوء حال. حاصله فظن جميع الناس الذين بالجمع، من العلماء والوزراء والوفود وأرباب الصدور، ان الأمر تم، وساعده على المطالب، فلأجله قاموا حيارى، وغابوا وحصل لهم الدهش بالبكاء والنحيب، ثم طلب الوزير أن يمهلهم في الجواب. حاصله فلما بلغ الخبر لسيدنا أيده الله بما صدر من الفرانسيس، اغتم غما شديدا من سوء كلمه، وتطاوله، وافتخاره بالمحال، الذي لا يقبل شرعا ولا طبعا، ثم ان يوم الأحد تاريخ 21 منه اجتمع الجمع بالعتبة الشريفة الوفود وأرباب الصدور، والعلماء والقضاة، وسيدنا الشيخ رضي الله عنه جالس، والقضاة والوزراء، وسيدنا نصره الله قريب منهم فقال بأعلى صوته القائد المشور، يقول لكم سيدنا أعزه الله ونصره، ان ما صدر به العدو الكافر من الطيش وسوء الكلام، فإنه أساء الأدب علينا بقوله : يد لفرانسيس طويلة علينا، وسلم له الانجليز وغيره من الأجانب، فنحن ملوك سلف عن خلف، ولا كانت دولة المغرب تحت جنس !... ليس له يد علينا حتى يسلمنا إليك، فنحن دولة مستقلة، مثل جميع الدول، فلو كان الانجليز ساكنا تحت دولته، ثم سلمنا إليه يكون لنا ما يكون، فنحن والحمد لله دولة مستقلة، مخصوصة من قديم الأعصار، يتصرف ملوكنا كيف شاءوا بأنواع التصرفات، وأما جميع ما طلبه لم نساعده على شيء أصلا، هي مقيدة تسعة شروط، وكل شرط تحته شروط مطوية، فقد أجبته عنها بسياسة ولطافة فقرأها ومن ظهر له شيء فليكتبه، فإنني وسيدنا سواء في هذا الأمر، ومن أراد أن يتكلم فليتكلم، فكلنا سواء، وهذا هو العمل والمعول عليه أحب أم كره، وان

---

(1) كذا في الأصل.

أراد غير هذا فنحن فيما يريد بحول الله (كذا) وقوته فإني لا أحول على هذا النظر أصلا. حاصله ظهرت من سيدنا أعزه الله قوة عظيمة، واجتهاد في اجتماع كلمة الاسلام، ففرح أهل الجمع، ووقع لهم من السرور ما لا يعلمه إلا الله، فمن شدة فرحهم كأنهم دخلوا الجنة وتعجب كل العجب من ... وحسن ألفاظه وقواعده في الجواب عن الشروط كما نبين بعضها يسرته. ولما تلاقى الفرانسيس قبل هذا ودفع الشروط لسيدنا أيده الله أرسلها لسيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه، فأجاب عنها بكراس مملوء بالقواعد والسياسة والقوانين، ثم أكد عليه بمطالعتها، فكان سيدنا الشيخ رضي الله عنه يحضه على مطالعة تلك الفصول إلى الآن، فلما تم المجلس وكان هو المتكلم والفقيه القاضي سيدي عبد الله بن خضراء الشريف أن سيدنا الشيخ يطلع يوم تاريخه[1] ليتفاوض مع سيدنا في بعض الشروط وما يخاف إليها، وقد وقع الجمع البارحة بروض الوزير بالمناظرة وجميع المكلفون (كذا) والعدو معهم، فطلب منهم الجواب عن الثلاثة شروط، فقالوا له بين لنا جميع مطالبك وشروطك لنجاوبك عن الجميع، وقد ورد جوازيط، يخبر فيها أن الفرانسيس فيه حمق وطيش، لكونه ظهر له أن الغرب مثل تونس فيه غير النسوان، وان دولة المغرب قوة، وفيها الرجال والعربان والشجعان، وقد طلع الباشدور لفاس، وقد أهمله ولم يلتفت إليه، ولم يلقوا له بال، ووقع في طي الاهمال، لكونه على ساق الجد والاجتهاد، والله ياخواني لو كان دام ذلك أسبوعا، لقامت الفتنة من كل ناحية وجانب، كما قال الشيخ رضي الله عنه، أن جميع من هو معكم من القبائل، كل واحد يهرب لقبيلته، ويخبرهم بالواقع وتقع الفتنة في أقرب مدة، ولا يبقى معكم جيش ولا سلطان وتبقوا مثل النساء لا قوة لكم، ولم يقصر في الكلام، فصاررا يقبلون يديه ويطلبون منه الدعاء، ولم أقدر أن أصف لكم ذلك، فقال : لأرباب الصدور، وأقر له جميع العلماء أعاد الله علينا وعليكم من بركاته».

هذه هي الرسالة التي وجدت بين أوراق السيد عبد الله بنسعيد،

(1) كذا في الأصل.

ويظهر أنها كتبت له ولأصدقائه من المنتمين لطريقة الشيخ الكتاني وبغض الطرف عما فيها من أخطاء (وبركات) فإنها تصور الحالة التي كان عليها الناس، في ذلك الظرف من اشفاق على مستقبل المغرب، وخوف من أن يقع الانصياع للمطالب الفرنسية، كما أنها تكاد تكون جوابا عما طرحه السيد عبد الله بنسعيد في رسالته التي بعثها من نيابة طنجة، والتي حذر فيها من الوقوع في الفخ الذي يضعه الفرنسيون للمغرب، والمكاسب التي يودون الحصول عليها، والتي تتجلى في مطالبهم وشروطهم، وتدخلهم المباشر في تسيير شؤون المغرب.

المتآمرون على المغرب يتخوفون من بنسعيد

إن النشاط السياسي، وتتبع الأحداث، ونصح المسؤولين، وتحذيرهم من الانصياع لأساليب الاستعماريين، جعل كلام الذين كانوا يتربصون الدوائر للمغرب، سواء منهم الانكليز، أو الاسبانيون، وبالأخص الفرنسيين ينظرون شزرا إلى القائد عبد الله بنسعيد، ويعتبرونه من ألد أعداء الاستعمار، والعاملين على افساد خططه، فلقد كانوا يرفعون التقارير تلو التقارير لحكوماتهم ضده وضد تحركاته، كما كانوا يوعزون إلى المتعاملين من المغاربة معهم، بأن وجوده ضمن المسؤولين في نيابة طنجة، من شأنه أن يضر بالعلاقات بين المغرب والدول الأجنبية، الأمر الذي كان له أثره على دوائر المخزن، والذي أدى على ما يظهر إلى إعفائه من منصبه بدار النيابة بظهير عزيزي شريف مؤرخ بفاتح ربيع الأول عام 1323 الموافق 6 ماي 1905 والذي جاء فيه : وبعد فقد أرحناك من كلفة النيابة بطنجة، فنأمرك أن تتوجه لمحل خدمتك بسلا حرسها الله، لمقابلة ما أنت مكلف به هناك، ويؤكد هذا ما جاء في كتاب السيد ابن عزوز حكيم من (أنه يتوفر على عدة تقارير سرية، كان يوجهها الوزير الاسباني المقيم بطنجة، إلى حكومته خلال الفترة التي قضاها الباشا بنسعيد بدار النيابة، بجانب الطريس، وكلها تشير إلى أن الباشا كان يقف ضد الأطماع الأجنبية عموما، والفرنسية والانجليزية بوجه خاص[1].

---

(1) ومضات مضيئة ص 28.

لقد نعته أوجين رينيو وزير فرنسا بطنجة، بأنه ماكر، ومتعصب، لا تراحمة فيه مطلقا، وقال عنه الكومندان فورنيي رئيس البعثة العسكرية الفرنسية، انه معروف بكراهيته للأوروبيين[2].

عملاء يتآمرون ضد الاستعماريين

إن الأيادي الأجنبية كانت تعمل عملها داخل المغرب وخارجه كانت مع الأسف الشديد تجد بعض العملاء الذين لا ضمير لهم، والذين أشار إليهم القائد عبد الله بنسعيد في تقريره المرفوع إلى الشيخ الكتاني، ويتراءى لنا أن نشاط هؤلاء العملاء، بإشارة من مسيريهم الفرنسيين، كان متوجها أيضا إلى تصفية المعارضين لخططهم، وإزالتهم من طريقهم، وتنحيتهم من كل مسؤولية كيفما كان نوعها، حتى يخلو لهم الجو، ويفسحوا المجال لما يبيته الاستعمار الفرنسي والانجليزي. ولسنا نشك أن إعفاء السيد عبد الله بنسعيد من دار النيابة بطنجة كان بتأثير من هؤلاء، وانهم لم يكتفوا بإعفائه من النيابة، حتى صاروا يدبرون ويمكرون حتى ينحى من سلطة، باشوية «سلا»، التي بقي محتفظا بها منذ تولي النيابة عن والده، رغم ما أسندت إليه من وظائف أخرى، سواء بطنجة، أو غيرها، ولقد كان لتخطيطهم ومكرهم اثره لدى دوائر المخزن، حيث لم تمر إلا ثمانية أشهر من إعفائه من نيابة طنجة، حتى أعفي من منصبه بباشوية سلا، وذلك بمقتضى الظهير المؤرخ برابع عشر ذي القعدة 1323 الموافق لـ 9 يناير 1906. وهكذا صار يباشر أشغاله الخاصة، ويوالي اجتماعاته مع خلصائه وأصحابه، متتبعا التطورات التي كانت تقع بالبلاد، والتي أدت إلى قيام المولى عبد الحفيظ ضد أخيه عبد العزيز، ومبايعته من طرف العلماء، والأعيان، والاشراف، مشترطين القيام بإدخال الاصلاحات الضرورية على تسيير البلاد، ومقاومة التدخل الأجنبي، فكان من جملة المبايعين له والملتفين حوله، وضمن الوفد الذي أتى من طنجة ليقدم البيعة بتاريخ 25 رجب 1326هـ الموافق 23 غشت 1908م[1]

(2) مصطفى بوشعرة نقلا عن جاك كاني.

(1) جاء في كتاب ابن عزوز ان الوزير الاسباني المقيم بطنجة أشار في رسالة بعثها إلى حكومته إلى وجود عبد الله بنسعيد مع الوفد الطنجي.

وذكر لي ولد المترجم السيد الحاج العربي أن والده ذهب بعد مبايعته إلى فاس، للسلام على المولى عبد الحفيظ، وأنه عين خليفة للجباص، الذي كان عين نائبا بطنجة بعد وفاة الطريس وبقي في النيابة من عام 1326هـ إلى 1328م.

عبد الله بنسعيد يعين خليفة للنائب السلطاني بطنجة

لقد كان تعيين المترجم في نيابة طنجة، كخليفة ومستشار للنائب، يعتبر في الواقع التفاتة من المولى عبد الحفيظ، الذي كان يرى في المترجم، مثال الوطنية، والاستقامة، والغيرة على البلاد، ولكن النائب الجباص لم يكن راضيا على هذا التعيين، بل كان يرى في تعيينه للمرة الثانية، ازعاجا للفرنسيين والانجليز، الذين كانوا ينظرون إليه كعدو محارب لخططهم، فكتب بذلك إلى المولى عبد الحفيظ، ولكن السلطان عبد الحفيظ أجابه بالرسالة الآتية المؤرخة بـ 15 رمضان 1326هـ الموافق لـ 11 أكتوبر 1908م.

خديمنا الأرضى الكاتب محمد الكباص، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد، فقد كتبنا لك في غير هذا بما اقتضاه نظرنا من توجيه خديمنا الأرضى الطالب عبد الله بنسعيد السلاوي ليكون خليفة في عمل النيابة وسائر شؤونها وجميع متعلقاتها، وزدناك هذا تأكيدا على حسن المصارفة معه، والمجاملة، لكونه من بيوتات الخدمة، ومن أهل الديانة والصدق، ليكون تعامله بمزيد الاعتبار، كما هو معتبر عند جانبنا الشريف، ولا نوافق على عدم اطلاعه على شيء من الأمور، ولا إخفاء شيء عنه، فإننا لم نخرج له يدا من أشغال دار النيابة كلها والله يعينكما والسلام.

إن هذه الرسالة الملكية الحفيظية، تضع النقط على الحروف، وتلمح إلى أن الجباص كان يريد أن يتعامل مع بنسعيد معاملة فيها كثير من الحذر، ولربما لا يطلعه على بعض ما يروج في دار النيابة، وما يرد عليها

من أنباء، ومشاريع، ومخططات أجنبية، وهي تؤكد على ضرورة اطلاع بنسعيد، على كل ما يروج من سائر الشؤون، وجميع المتعلقات، وتوصي بضرورة التعامل معه معاملة صادقة مخلصة، لكونه من أهل الدين والصدق وكفى بها شهادة من سلطان، بويع على أساس إصلاح البلاد، ومقاومة التدخل الأجنبي فيها. ان الكباص عندما طلب من المولى عبد الحفيظ، الاحتياط في التعامل مع المترجم، كان ولاشك واقعا تحت تأثير الفرنسيين وغيرهم، الذين كانوا يرون في القائد بنسعيد العدو الألد لمخططاتهم، الأمر الذي يؤكده الخطاب الذي وجهه الوزير الفرنسي المقيم بطنجة المسيو «رينو» إلى وزير الخارجية الفرنسية يوم 24 أكتوبر 1908 (28 رمضان 1326) والذي جاء فيه : (من الواجب ان ألفت النظر، إلى وصول بنسعيد النائب الجديد، المفروض على الكباص من طرف مولاي عبد الحفيظ، والذي أسند إليه حق عام في مراقبة سير الادارة المخزنية، كدليل بين على النوايا الحقيقية للسلطان الجديد، لقد أقصى بنسعيد منذ ثلاث سنوات، بطلب من نيابتي فرنسا وانكلترا، ويعتبر لدى الجميع كمتعصب، ولقد أقر المولى عبد الحفيظ وجوده، بالرغم عن الكباص، الذي وبخ لأنه أعلن تأثيره السيء، الذي ترتب عن تعيين بنسعيد في الأوساط الأجنبية.

لقد بقي المترجم بدار النيابة بطنجة لغاية (1328) (1910) ثم، ولعله بضغط من الفرنسيين، اقترح عليه أن ينتقل إلى الصويرة كباشا، فاعتذر عن هذا الوظيف، فعين بعد ذلك مندوبا بحدود «مليلية»، ولكن فرنسا واسبانيا عارضتا علنيا هذا التعيين، وبعد فرض الحماية على المغرب، كان الفرنسيون ينظرون إليه كعدو رقم 1 فاضطر حسب ما يذكر ولده الحاج العربي إلى أن يطلب الحماية الألمانية، لعلها تقيه شر الفرنسيين، ولكن لم تأت سنة 1914، وتشهر الحرب العالمية الأولى حتى وقع نفيه إلى مدينة الجديدة، حيث بقي منفيا فيها إلى سنة 1919م.

رسالة من عبد الله بنسعيد إلى المقيم العام الفرنسي ليوطي

ونجد في بعض الأوراق التي احتفظ بها ولده الحاج العربي، مسودة لرسالة كان وجهها للمقيم العام الفرنسي بالمغرب أثناء نفيه بالجديدة، وهي مؤرخة بـ 17 جوي 1917 ويقول فيها :

(اني منقول للجديدة ظلما، باسم دولة فرنسا الفخيمة، المعروفة بعدالتها وحمايتها للانسانية، وحفظ الحقوق الانسانية، ثم يقول : ان النفس الفاضلة، لا تحتقر أحدا صغيرا كان أو كبيرا، لأنه نقص في حقها، فإن كنتم قصدتم بنفيي ظلما تأديبا من يشجع ذلك (كذا) فإنه غلط، بل أعدمتم الناس الثقة بكم، ولم يبق لأحد من المغاربة ثقة بكم، وغفلتم أن الظلم لا يترتب فيه صلاح أبدا، لأن الله لا يحب الظلم، وإن كنتم قصدتم بنفيي التشفي في ألمانيا، لأني كنت محميا بها، فأنا لست بألماني، وإنما أنا مسلم مغربي، ضعيف القوى، ملازم لمصالحي وشؤوني، لا أتدخل في سياسة، وألمانيا بينكم وبينها ميادين حرب سجال، وأنتم قادرون عليها، ومستعدون لمقابلتها، أما أنا (فسلاوي طالب عافية) كما يقول المثل السلاوي، وإنما اتخذت الحماية الألمانية، لأجل الظلم الذي هو محرم في جميع الملل والنحل والأديان، ولا ظلم أعظم من هذا الذي لحقني، بسبب شخصيات بعض رجال الدولة الفرنسية الفخيمة، حامية العدل والحرية التي هذه من ثلاثة سنين وهي تقتل رجالها ورجال مستعمراتها وحلفائها لحفظ الانسانية، وقتل الظلم والاستبداد، إلى أن يقول : أناشدك الله، هل هذا من العدل الذي ينشر بالجرائد والمنتديات السياسية، والمحاكم الشرعية، صباح مساء، حاشا

وكلا أن ترضى دولة العدل والانصاف هذا، وإنما بعض صغار رجالها الموظفين، يفسدون السمعة للدولة، ويغيرون عليها قلوبا هي أحرص على جبرها، ويظنون أن المغاربة لا يفهمون، ولا يعقلون، بل المحتقر منهم يفهم العجائب والغرائب، وإنما يرضون بالرضوخ، توقيا للغالب من تحت القدرة والسيطرة.

السياسة هي أن يعامل العدو بالاحسان، حتى يصير صديقا، انظر لمعاملة الدولة للأمير عبد القادر الجزائري الذي نجح فيه إحسانها، ووقوفه معها غاية الوقوف، ومع رعاياها في ثورة بيروت، وأما مقابلة الأعداء بالعداء، فأمر مشترك فيه الانسان والحيوان، عجبا لدولة فرنسا، اتخذت يوم حريتها عيد 14 جوي، وتمنع الناس باسمها من حريتهم، لا، لا، لا تنه عن خلق وتأتي مثله».

وفي ختام الكتاب المذكور يقول : «أطلب من سيادتكم أن تنظروا بعين العدل والانصاف، حتى أرجع لأولادي عاجلا، ولك الجميل وان لم يتيسر لك، فأجبنا ان ترفع كتابي هذا، مع الكتاب قبله على يدك، لمجلس الوزراء الأعلى، ولمجلس السيناتور، وللمجلس الشرعي بباريز، للنظر في أمري فإنكم لا توافقون على ظلم أحد، وقد كنت كتبت لكم بمثله في 16 أبريل 1916».

رجوع القائد عبد الله بنسعيد
إلى مسقط رأسه بسلا

مكث منفيا بالجديدة خمس سنوات كاملات، توثقت فيها علاقته مع بعض الشخصيات المرموقة. ويأتي في طليعتها الفقيه الرافعي الشخصية العلمية المرموقة، والذي كان يقضي معه كثيرا من الأوقات في المذاكرة العلمية، والذي أجازه إجازة علمية، لم أتمكن من الحصول عليها لحد كتابة هذه السطور.

وخلال سنة 1919، أذن له بالرجوع إلى مسقط رأسه «سلا» فاستعاد نشاطه واتصالاته مع أصدقائه وأحبابه، الذين كانوا يعتبرون منزله ناديا يلتقون فيه ليتبادلوا أطراف الأحاديث المتنوعة، ومن جملتها بالطبع متابعة ما يجري بالبلاد، وما يقع فيها من أحداث.

السلطان مولاي عبد العزيز رفع إليه القائد عبد الله بنسعيد
مذكرة اقتراحات تاريخية لإصلاح حالة المغرب

الاحتجاج ضد ضريبة «الكياب»

وخلال سنة 1339هـ (1921) وقعت أحداث ومظاهرات في كل من سلا والرباط، تسبب فيها فرض ضرائب على التجار والصناع، ورأى فيها المهتمون بقضايا أبناء وطنهم، اجحافا وظلما للصناع والتجار، فرفعوا احتجاجات ضده الضرائب، وكان على رأس المحتجين مترجمنا بنسعيد، وكونوا وفدا متركبا من بعض الشخصيات السلوية المرموقة كان منهم المرحومون السادة 1) سيدي احمد بن الحارثي حجي والد المرحوم السعيد حجي 2) أبو بكر بن الحاج الغالي المريني خالي ووالد الفقيه العالم المرحوم الحاج محمد المريني 3) وسيدي احمد الطالبي والدالوطني الغيور المرحوم الحاج محمد الطالبي، والذي كان لدى مقام السيد عبد الله بنسعيد بطنجة ينوب عنه في باشوية سلا. ولقد استقبل الوفد المذكور من طرف حاجب السلطان السيد احمد اعبابو، وقدموا له احتجاج مدينة سلا ضد فرض هذه الضريبة التي اعتبروها مجحفة. ويقال حسب رواية الحاج العربي بنسعيد، أن هذه الاحتجاجات كانت بإشارة من وزير العدل المحدث الشهير الشيخ بوشعيب الدكالي. ولم يكتف السلويون بتقديم العرائض الاحتجاجية. ضد فرض الضرائب، بل نظموا مظاهرة شارك نحو الثلاثمائة شخص تجمعوا في زاوية سيدي احمد بن عبد القادر، وانطلقوا منها إلى منزل الباشا الصبيحي، وكان المتزعم لهذه المظاهرة الأديب الكبير الشاعر، السيد عبد الرحمان حجي، الذي ألقى عليه القبض خلال المظاهرة ومكث في السجن خمسة عشرة يوما.

النفي إلى وجدة

لقد اعتبر الفرنسيون السيد عبد الله بنسعيد مسؤولا أساسيا عن هذه الحركة الاحتجاجية، فنفوه للمرة الثانية إلى مدينة «وجدة» حيث بقي منفيا فيها عامين من سنة 1339هـ (1921) إلى سنة 1341هـ (1923م) حيث وقع اطلاق سراحه. كما نفي المرحوم الحاج بنعيسى لعلو إلى مدينة «آسفي» ويحكي ولد المترجم الحاج العربي بنسعيد الذي صاحبه إلى منفاه بوجدة، انه حين القاء القبض عليه، أخذوه إلى منزل الباشا الصبيحي، وأخبروه بأن قرارا اتخذ بنفيه إلى وجدة، ولكنه رفض رفضا قاطعا الخضوع للقرار الفرنسي، وأصر على عدم مغادرة منزل الباشا، إلى أن يصدر ظهير سلطاني بنفيه، لأنه يرفض القرارات الفرنسية، ويعتبرها غير قانونية، ولما حاول رجال الادارة الفرنسية نفيه بالقوة، تعرض الباشا الصبيحي، وأصر على أن يبقى بمنزله إلى أن يقرر المخزن في شأنه، وهكذا مكث ستة أيام بمنزله، إلى أن وقع نفيه حسب ما قررت الادارة الاستعمارية، بعدما وصل إلى مدينة «وجدة» استقبله باشا المدينة السيد احمد بن كروم، استقبالا طيبا، وأضافه في منزله ستة أشهر كاملة، ريثما اكترى منزلا خاصا به وبضيوفه، وما أن عرف علماء وجدة وشيوخها مكانة الرجل الوطنية والعلمية، حتى صاروا يتواردون عليه في منزله ليتدارسوا ويتذاكروا ويتناقشوا، وكان من جملة الذين يزورونه الفقيه المازني والفقيه بنسعيد والفقيه ابن المهدي والفقيه محمد بن الحسين والقاضي الشركي زيادة على طلبة العلم والاشراف وغيرهم.

وحكى لي ابنه الحاج العربي المذكور سالفا والذي كان مقيما معه بوجدة، ان والده استدعى العلماء والطلبة بمناسبة يوم عيد المولد النبوي عام 1340 هجرية، وظلوا معه اليوم كله، وهم جميعا في منتهى الانشراح

والفرح بذكرى مولد المصطفى عليه السلام، وبينما هم على تلك الحال طرق الباب ساعي البريد، حاملا برقية وردت من «سلا» تخبر بوفاة والدي المرحوم بكرم الله سيد احمد القادري، وكانت بينه رحمه الله، وبين القائد عبد الله بنسعيد صداقة ومحبة كبيرة، فخشى الحاج العربي أن يكدر صفو المجتمعين بمناسبة العيد، واخفى أمر البرقية على والده، حتى افترق الجمع، ولما اخبره رحمه الله بوفاة السيد الوالد، تأثر تأثرا عميقا وقال : ها هم الأحباب الصادقون ينتقلون إلى الدار الآخرة، فكيف الحياة بعدهم، أو كلاما هذا معناه.

الحياة بعدهم، أو كلاما هذا معناه.

وأسجل هنا أن القائد عبد الله بنسعيد كانت تربطه بالأسرة القادرية روابط متينة زادتها صداقته لسيدي الوالد رحمه الله قوة ومتانة، الأمر الذي جعله يزوّج إحدى بناته السيدة خديجة لعمي الجليل مولاي المكي بن الشريف القادري ويزوج أختها إلى أحد أبناء عمنا سيدي الحاج بوسلهام القادري رحم الله الجميع فأضيف إلى الصداقة التي كانت تجمع بين الوالد وصاحب الترجمة، رابطة المصاهرة الأمر الذي زاد العلاقة بين الأسرتين القادرية والبنسعيدية قوة ومحبة وتقديراً، وبقيت هذه العلاقة وهذه المحبة مستمرة، ومحافظاً عليها من لدن أبناء بنسعيد والقادريين إلى اليوم.

رسالة من عبد الله بنسعيد إلى أبناء صديقه سيدي أحمد بن الشريف القادري

وبالمناسبة أثبت هنا رسالة تعزية وصلت إلى أخي الأكبر، الفقيه المرحوم العدل سيدي محمد ابن احمد بن الشريف القادري من مترجمنا رحمه الله جاء فيها، بعد الحمدلة والتصلية :

سادتنا الأجلاء، الأفاضل الأماثل، أبناء أخينا، وشقيق روحنا، المرحوم مولانا أحمد بن مولانا الشريف : سيدي محمد، ومولاي الشريف، ومولاي عبد الله، وسيدي أبي بكر، ووالدتهم واخواتهم، واخوانهم، الأجلاء الأكرمين النبلاء سيدي الحسن، وسيدي الحاج قدور، ومولاي المكي، حفظكم الله ورعاكم وسددكم وكفاكم، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ما توالت حركات الدهر وسكناته.

وبعد، فقد بلغنا انتقال كعبة المجد، وكوكب السعد، وزينة الدنيا، وبهجة العصر، مولانا أحمد، لدار البقاء، واكتحاله بمرود الفناء، وإجابته داعي الله، فهد هذا السماع أركاننا، ومزق أكبادنا، وأذهل عقولنا، وعددناه من أعظم المصائب، وأخطر النوائب، إذ موت العالم ثلمة في الدين، لاسيما إن كان مثل المرحوم من أهل الدين المتقين المخلصين.

لعمرك ما الرزية فقد مـــال ... ولا ملك يموت ولا وزيــر
ولكن الرزية فقد حـــر ... يموت بموته خلق كثيــر

لكن لا نقول إلا ما يرضي الرب، وان ذرفت لفقده العبر، وحزن القلب : انا لله وانا إليه راجعون، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، فلقد كان والله، رحمة لأهل تلك البلدة، وعين أعيانها، فبينما نحن

نضمد جراحات احمد، حتى فاجأنا حادث سيدنا الأخ الجليل في المجد السامي، والفضل النامي مولانا محمد التهامي، ثم حادث أخ الطرفين الصادق الأمين، الصدوق الفرد، السيد محمد زنيبر، فعلمنا أن «سلا» أصابتها العين في أعيانها فأعمتها، فلا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله أن يعظم أجرنا وأجركم، في هذه المصائب، ويؤيدنا وإياكم على تحمل هذا النوائب، التي جل خطبها، وعظم وقعها، وان لا يرينا وإياكم ما يسوء، وان يجعلهم في جوار سيدي الوجود، ويغمرهم بفيض الكرم والجود، كما نعزيكم في خالتكم السيدة خديجة زوج عزيزي حمدان مسلما على الأخ العزيز سيدي أبو بكر المريني وعزيزي حمدان ومعزيا في الجميع ودمتم بسلام والسلام.

في فاتح جمادى الثاني 1340هـ
(محمد عبد الله بنسعيد)

والرسالة تفيض إخلاصا ومحبة وتقديرا للصادقين، وحزنا وألما لفراقهم.

رجوع القائد عبد الله بنسعيد من وجدة إلى سلا ووفاته

لقد بقي الباشا عبد الله بنسعيد منفيا بوجدة مدة عامين كاملين، ثم سمح له بالعودة إلى «سلا» حيث لم يمكث إلا مدة يسيرة حتى وافته المنية، ففارق هذه الحياة الدنيا يوم السبت 24 صفر الخير عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف 1342هـ الموافق لـ 6 أكتوبر 1923 وسنه ستون سنة هجرية (1282ـــ1342) ودفن بالمقبرة المنسوبة إلى آل بنسعيد، قرب ضريح الولي الصالح سيدي عبد الله بن حسون، رحمه الله رحمة واسعة، وجازاه على ما قدم لدينه ووطنه وأمته من نصح، وما بذل من تضحيات، في سبيل كرامتها وعزتها.

مـــلاحق

شكايات القائد عبد الله بنسعيد بموظفي الديوانة

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سيدنا الصدر الأجل، السياسي الداهية الأحفل، الوزير الأعظم سيدي محمد المفضل غريط أمنك الله ورعاك، وسلام على سيادتك ورحمة الله، عن خير مولانا نصره الله.

وبعد، فلا زائد على ما كتبت لسيادتك به في 28 من الفارط، في شأن أمناء طنجة، من التهور والخروج عن الحد، سوى أنهم صاروا لما تضايقوا ممن يقيد عليهم القطع، خارج الدوانة، يقومون السلعة التي لهم الغرض فيها، بثمنها الواقع، ويحوزونه لأنفسهم، ويثبتون في قائمة المخزن التاجر، ويقيدونها خردة، أو مأكولات، أو حوائج لباس النصارى (الحنشنة) ويأخذون أعيان السلعة، من داخل القطع، ويثبتون الأقل، ويتركون القطع بالكلية، ويدخلون للبلد بعض القطع على شدها من غير فتح بالكلية.

مع أنه لا يخفى أنه إذا اعتاد التجار من الأمناء، عدم الفتح للقطع، يكتبون على الأمور فتأتيهم داخل القطع التي يظن عدم فتحها، ويدخلون بها (كطربانض) بدون المسار وغيره، وتفتح بذلك الأبواب على المخزن أعزه الله، ويصير ذلك عادة في هذه المرسى وفي غيرها.

وبه تعين الاعلام، ولسيادتكم النظر والرأي الأسد، وعلى خدمة مولانا الشريفة ومحبتكم والدعاء لكم والسلام.

في 6 حجة الحرام عام 11/1322 يناير 1905

«ومنه، فإنه كانت وقعت قضية قديمة زمن جد مولانا المقدس، وهي أنه كان أمين أمناء العرائش وهو الحاج إدريس بنيس، أمر بجواز مارى من الديوانة ولم تفتح جميع أمجار المارى المذكور، فبلغ ذلك للعلم الشريف، فأمر به، فطلع به مكبلا للحضرة الشريفة، زجرا لغيره، وسدا للذريعة».

محمد عبد الله بن سعيد كان الله له

الحمد لله وحده		وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

بعد تقبيل حاشية بساط مولانا الجليل وأداء ما يجب لعلى ذلك المقام، من الدعاء والثناء الجميل يعلم سيدنا أعزه الله، أن الأمناء المعنيين كثيرا ما تعرض لنا أمور متوقفة عليهم، راجعة لأشغال دار النيابة السعيدة، وإذا طالبناهم فيها، يتغيبون، ولا يبالون، أو يجيبون بجراب من لا يعتبر الأمور المخزنية، وطالما تعامينا وأغضينا عنهم الجفون، ولا يزدهم ذلك إلا عنادا ومكابرة، وكل هذا بمحضر المستخدمين بدار النيابة السعيدة، ومرأى منهم.

وساعته، وجهنا لهم ثلاث مرات في قضيتين مهمتين، فأجابوا بجواب التعنت والأعراض.

وأعلمت مولانا دام علاه بهذا، حيث لم تنفع فيهم سياسة، ولا اغضاء، ليامر سيدنا أعزه الله بما يقتضيه نظره الشريف.

وعلى سعيد الخدمة، سائلا من مولانا رضاه، والسلام على كريم المقام ورحمة الله.

في 12 محرم عام 19/1323 مارس 1905

خديم المقام العالي بالله

محمد عبد الله بنسعيد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

(طابع السلطان عبد العزيز بن الحسن)

خديمنا الأرضى القائد عبد الله ابن سعيد

وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد وصل جواب خديمنا الحاج محمد الطريس مطويا على ما أجاب به رئيس الجمهورية الفرنصوية عن الحوادث التي أوقعتها جنود الأيالة الجزائرية بقصور القطر التواتي وما والاه بما تضمن عدم الأنصاف، وعلى نسخة مما كتب به النائب المذكور لنواب الأجناس بقصد رفع ذالك لدولهم، وصار الكل بالبال..

لاكن إعلامه بما ذُكِر تقدم قبل التاريخ بأربعين يوماً، ولازال لم يظهر منه إعلام بمثال الأمر فيما كُتب به للنواب، والحالة أن الأخبار قد تكاثرت بكون الجنود الجزائرية لم تقف عند مقتضى الجواب الوارد من رئيس الجمهورية الفرانصوية، بل لازال انتشارها بناحية الصحراء في الزيادة، حتى أنهم صاروا يوجهون السرايا للتحويم على قبائل تافلالت ثم يرجعون.

وهذا عين التهديد على داخل الأيالة البعيدة عن نقط الحدود، بل هو صريح السعي في أسباب ترويع القبائل المذكورة واستنهاضها للدفاع عن أنفسهم ومَحارِمهم ليرتب الخصم على ذالك ما يرتبه من ادعاء هجوم القبائل الغربية عليهم، إلى غير ذلك من المقاصد التي لا تخفى. وكيف يمكن مع هذه الحالة دوام كف أولائك القبائل عن مقابلة الهاجمين عليهم أو تثبيطهم عن بواعث الغيرة على أرضهم وبلادهم ؟

وحيث كان الانتظار لمثال ما كتب به هذا الخديم للنواب، والحالة على ما هي عليه من ضيق النطاق عن السكوت لتزايد امتداد يد الترامي، وتكاثر التظاهر بما هو في معنى التهديد على قبائل تافلالت، تعين تطيير الكتب لكم بما ذُكِر لتعجلوا بالأعلام بمثال كلام الدول في هذا الموضوع، وبما تستَنْزِوحونه من بعض الجوانب على وجه السر فيما يرجع لنتيجة المثال، ليكون المخزن على بال، لأن انقطاع الخبر في هذه المدة كلها يورد على الفكر كثيراً من التوقعات، ولا أقل في مثل هذا الموضوع من تَعَاهُدِ الكتب بالمسموع رسميا أو سريا ولو مرة في الجمعة.

وأما ما أجاب به رئيس الجمهورية فإنه ـ وإن كانت ألفاظه كلها خارجة عن طريق الأنصاف ـ فلا بد من إمعانكم النظر فيه : هل يناسب إصدار جواب عنه أم لا ؟

وقد أمرنا الخديم المذكور بأن تحضر لديه أنت والخديم الطالب بناصر غنام وكذالك الطالب عبد السلام أحرضان ـ إن اقتضته المصلحة ـ لتتفهموه مع ما يتعلق به من المكاتيب

ونسخ الحجج التي عندكم في هذا الشأن، وتتفاوضوا في ذالك، وإن ترجّح عندكم مناسبة إصدار جواب عنه فبينوا كيفية المنوال المناسب الذي يجتمع عليه رأيكم في هذا الجواب أو غيره من الوجوه الموصلة لكف يد الترامي، والتوافق بين الجانبين على تتميم المحاددة بين الأيالتين من جميع الجهات كلها، وعقد شروط في ذالك بما أمكن، ولو بجعل سداد مناسب خفيف، ارتكاباً لأخف الضررين. وحتى إن لم تكن عندك نسخة من تعريب جواب البْرِيزِدان فها هي تصلك بطيه.

وها نحن في انتظار جوابكم بمنال كلام الدول، وبما حررتموه فيما يوصل لأتمام المحاددة مع الخصم وتسكين الترويع الواقع في الرعية لننظر في ذالك، ويظهر ما يتعين الأقدام عليه. والله غالب على أمره.

وقد كتبنا للأمين الطالب بناصر غنام بمضمنه، والسلام*.

في فاتح ربيع الثاني عام 1318 / [20 يوليوز 1900]

---

* من خزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم

(طابع السلطان عبد العزيز بن الحسن)

خديمنا الأرضى القائد عبد الله ابن سعيد السلاوي،

وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد وصل جوابك عن أمرك بالمفاوضة مع الأمين غنام وخديمنا الطريس في مباشرة الضابط المجعول لأجراء عمل الشرط المتعلق بشراء أهل حجرتي النكور وبادس المونة من جيرانهما أهل الريف، بعد التأمل في شروط الصلح : بأنكم تفاوضتم في ذالك، واجتمع رأيكم على تسريح المونة للمذكورين على الضابط الذي وقع الاتفاق عليه، حسبما بالنسخة التي وجهت مما كتب به الخديم الطريس لنائب الصبنيول إلخ، وصار بالبال.

وقد أمرنا عمال المحل بتسريح المونة للمذكورين على مقتضى الضابط المذكور. غير أنكم لازلتم لم تخبروا بجواب النائب المذكور بتسليم الضابط الذي وقع الاتفاق معه عليه. وها

نحن أمرنا خديمنا الطريس بمطالبته بالجواب المذكور، وبالتعجيل بتوجيهه ليكون أمر المونة المشار لها مبنيا على أساس. وأعلمناك بهاذا لتكون منه على بال، وتقف فيه حتى يصفو أمره بحول الله، والسلام*.

في 7 ربيع الثاني عام 1318 / [4 غشت 1900]

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

مبيضة ما يكتب به لِدُويان جماعة النواب

وبعد فقد كان طلب منا كتابة دويّانُ جماعة نواب الدول المحبة الموقعة على شروط مادريد 1880 على لسانهم أنهم يرغبون معرفة كون رعية البرازيل تتمتع من حقوق شروط مادريد بدون إلزامهم بفرائضها، وكيف يكون أن رعية البرازيل هم في حالة الامتياز، وذكر أنهم يظنون أن لا فائدة في زيادة مباشرة ما أوردت لهم طالما لم يكونوا محددين بنوع شاف في هذا الموضوع.

وقد كنت رفعت للحضرة الشريفة أعزها الله ما راج بيني وبينه في ذالك، وتبين أن السبب في قبول نائب الجنس المذكور - وهو غير داخل تحت شروط مادريد - إنما هو غفلة، ولم يخطر بالبال في ذلك الوقت ماءال إليه الأمر في وقتنا هذا وقبله، وما حصل من الضرر الشديد بالأيالة السعيدة من أجل ذالك بكثرة الحمايات والنطرلزيس بغير حق. وحيث تحقق لدى الحضرة الشريفة أعزها الله ما ذكرناه أصدرت أمرها الشريف لعمال المراسي بأن لا يقبلوا حماية لجنس البرازيل بإيالته، وللنائب الأجل السيد الحاج محمد الطريس بأن لا يقبل من قنصل دولة البرازيل التداخل في أحد من رعية هذه الدولة الشريفة بالحماية أو غيرها، ولا نائبا عنه بالمراسي لقلة أو عدم أبناء أرضهم الحقيقيين بالمغرب، ولأن دولته ليست داخلة تحت شروط مدريد ولا غيرها، ولا تجارة لها بهذه الأيالة، ولحصول الأضرار العظيمة من أبناء إيالتنا السعيدة الذين كانوا يدعون حماية هذه الدولة والرعي لها. كما صدر له ان يكون على بال من القنصل المقبول ورعاياه أبناء أرضه الحقيقيين ومراكب جنسه - إن مرت على هذه المرسى السعيدة - بالوقار والاحترام لا غير

وعلى هذا فنطلب من نواب الدول الفخيمة أن يعجلوا بإتمام مباشرة ما أنا مكلف به من قبل الحضرة الشريفة أعزها الله من تمشية شروط مادريد [سنة] 1880، وتدارك الخرق الواقع فيها بكل ما يوصل إليه، لأن عارض البرازيل الذي كانوا أخروا المباشرة لأجله قد زال.

ودمتم بخير وسرور، وختم في

[محمد عند الله بنسعيد، كان الله له]

[مبيضة ثانية]

الحمد لله وحده

وبعد فقد كان وصلنا كتاب مسيُ إدوارد أنصبك، دويان جماعة نواب الدول المحببين الموقعين على شروط مدريد سنة 1880، المؤرخ   طالبا على لسانهم بيان ما لرعية دولة البرازيل من الحقوق والامتياز في الشروط المذكورة حيث يظنون أنه لا فائدة في زيادة مباشرة ما أوردناه لهم إن لم يكونوا محدودين بنوع شاف.

فالإعلام لكم أننا قد رفعنا ذلك لشريف الحضرة دام عزها، وتبين أن قبول قنصل الجنس المذكور واحترامه إنما كان خاصا بنفسه وعياله على وجه الخير، ولا مدخل لدولته في شروط مدريد.

وحيث صار الأناس من هذه الرعية السعيدة يتوجهون للدولة البرازلية ويرجعون منها مدعين الانتساب إليها، وحدث من ذلك خرق متفاحش وضرر كبير صدر الأمر الشريف للنائب الأجل الفقيه السيد الحاج محمد الطريس بأن القنصل يكون قبوله بالاحترام له ولعياله، وله مقابلة ما عسى أن يرد من مراكبهم، وأن لا يقبل منه التداخل في السياسة ولافي أهل الرعية الشريفة الذاهبين لدولته والراجعين منها، وأنه لا حاجة تدعو إلى انتصاب قناصلهم بالمراسي وغيرها.

وعلى هذا فحيث زال عارض البرازيل الذي بسببه أخرت مباشرة ما أنا مكلف به من قبل الحضرة الشريفة أعزها الله من تمشية الشروط المدريدية على مقتضاها وتدارك خرقها، فالمرجو منك إنهاء ذالك لجماعة النواب الملحوظين ـ وأنت معهم ـ لتعجيل إتمام العمل في ذلك.

ودمتم بخير وسرور، وختم

[محمد عبد الله بنسعيد، كان الله له]

نسخة من كتاب شريف، عالي القدر منيف، نصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

خدامنا الأرضين : النائب الأنصح الحاج محمد بن الحاج العربي الطريس، والقائد عبد الله ابن سعيد السلوي، والأمين الطالب بناصر غنام، والأمين الطالب عبد السلام أحرضان الطنجي، والأمين الحاج عبد الحفيظ برادة الفاسي، والطالب الطاهر ابن الحاج التهامي بناني اسميرس الفاسي.

وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد فغير خفي أن ذلك الثغر الطنجي حرسه الله هو أهم ثغور ايالتنا السعيدة ومرءاتها، وهو مناط المصادر والموارد التي تدور بين جنابنا الشريف وبين دول الأجناس ونوابها.

كما لا يخفي ما بذله خديمنا الأصلح الحاج محمد الطريس من النصح في خدمة جنابنا الشريف المتعلقة بأشغال الأجانب وغيرها، واستفراغه في ذلك جهد طاقته منذ نُصِبَ لذلك حياة سيدنا الوالد قدس الله روحه إلى الآن.

وطالما شرح ما يلحقه من المشاق في تكاثر أشغال الأجانب، وضعف قواه عن معاناتها لكبر سنه، وَوَهن عظمه. وكانت تصدر له الأجوبة عن ذلك بالتسلية بما في تحمُله من جزيل الثواب ورضوان الله ورسوله، إذ القيام بذلك من أعظم القربات، بل هو أنفس ما يدخره المومن في الحياة وبعد الممات، ولما نعلمه من متانة دينه، ومراقبته الله في سره ونجواه.

وطالما أمعنا النظر في تدبير كيفية تكون جامعة بين بقائه على تكليفه، وحرمة منصبه ووظيفه، حيث لا غنى عن بركته، وبين تخفيف أعباء التعب عنه مع القيام بأشغال الأجانب على الدرجة المتعين فيها.

إلى أن شرح الله صدرنا الآن لترتيب كيفية جامعة للمقاصد المذكورة بحمد الله، وهي أن يكون خديمنا المذكور هو كبير المقام ورئيسه، وبعلامته تختم جميع المكاتيب الصادرة من ثمة لجانب المخزن وولاته ولنواب الأجانب. ويزاد المخاطَبون أعلاه ليكونوا أعضاء المجلس معه على نحو ما يُذكر. كما يزاد معكم فقيه المجلس الطالب عبد القادر بن قاسم المراكشي لتحرير المقبول والمردود من الحجج التي يدلي بها الأجانب وغيرهم، ومعه عدلان : أحدهما الطالب الطيب بن كيران المراكشي، والآخر الطالب محمد بن محمد بن علي الهواري الفاسي، لما توسمناه في كل واحد من الأعضاء المذكورين من الأهلية فيما يرجع لأعراف بلده وأحوال أهلها مما عسى أن يخفى عن غيره. ويكون معكم كُتَّاب ثمانية بنظركم، وتنتخبوا أيضا ترجمانا

أو ترجمانين بحسب ما يكفيكم ممن فيه أهلية المعرفة باسم الألسنة : خطاباً وجوابا وقراءة، سواء كان بلديا أو أجنبيا، مع ملاحظتكم فيه شرط التمارة وكتمان الأسرار. وإن اقتضت المصلحة إبدال أحد من الترجمانين بحسب ما يكفيكم بغيره فلكم النظر في ذلك، كما أن لكم النظر في إبدال من اقتضت المصلحة إبداله من الكتاب حيث أن العهدة عليكم فيهم وفي الترجمانين.

وها كتابنا الشريف لخدامنا أمناء المرسى هناكم بتنفيذ الراتب المعين لكم ولكل واحد من المتوظفين معكم على مقتضى ما سطر طرته * يصلكم صحبته. وحيث تعينون الترجمان أو الترجمانين فاعلموا بما اتفق عليه رأيكم في الأجرة التي تعين لكل منهما لنصدر أمرنا الشريف بتنفيذها. وبقية المعينين من هذه الحضرة المراكشية ومن فاس سيردون عليكم في الأثر إن شاء الله.

والذي يكون عليه عملكم هو الاجتماع وقت الخدمة بمحلها صباحاً وعشية ليعرض على جميعكم كل ما يرد على الفسينة من مكاتيب المخزن وولاته ومكاتيب الأجانب، وكذا ما يرد على الفسينة من الكلام الشفاهي، بحيث لا تبقى شاذة ولا فاذة من مكاتبة أو مشافهة إلا عرضت على جميعكم ليمعن كل واحد النظر في ذالك المعروض، ويبين ما ظهر له في القضية عند المفاوضة.

ثم إن اتفق الجميع على رأي واحد فالأمر ظاهر، وإن تكلم بعضكم بكلام لم يسلمه بقيتكم من أهل المجلس فلتبينوا لقائله وجه عدم تسليمه بالحجة المقبولة بياناً شافيا حتى يفهمه ويسلم وجه رده.

ولتكن مراجعتكم له في ذلك بليونة وتنزل لا بتعنت وتزييف جزافي لتبقى القلوب سليمة مجموعة على قلب رجل واحد في جلب المصالح ودرء المفاسد إن شاء الله.

---

* من وثائق الحاج العربي بنسعيد، وبالطرة ورد ما يلي :

- النائب الحاج محمد الطريس	300
- ولده	150
- غنام	200
- ابن سعيد	200
- الحاج حفيظ برادة	200
- أحرضان	150
- الطاهر بن الحاج التهامي بناني اسميرس	200
- الفقيه السيد عبد القادر بن قاسم الدكالي أصلا، المراكشي داراً	150
- العدل الطالب بن كيران	75
- العدل الطالب محمد بن محمد بن الفقيه الفاضل السيد علي الهواري	75
- الكتاب 8	600
- ج	2300

ثم إن كان المعروض عليكم من دعاوي الأجانب يقتضي البحث وسؤال العامل، وكانت حماية المتكلم عليه مسلمة على وفق مدريد فيكتب خديمنا ألحاج محمد الطريس لأمناء المرسى القريبة من محل الدعوى بإعمالهم البحث عن الواقع على مقتضى ما اتفقتم عليه في كيفية الكتابة لهم. وإن كانت الدعوى قريبة من المدن التي ليست بمراسي فيكتب لأمناء الصائر بها كذلك، ويكتب للعامل أيضا بما يقتضيه المقام من حيث السؤال.

وإن كانت الدعوى متعلقة بالرعية فيما بينهم ولا تعلق لها بالعامل نفسه فيقتصر فيها على البحث على يد الأمناء، وإن ظهر لكم في بعض القضايا التنصيص للأمناء على من تعلمون له مزيد الاطلاع في القضية فلتنصوا لهم عليه ليستعينوا به على تحرير البحث. والبحث يكون بتوجيههم من لهم الثقة بصدقه ومعرفته بمحل الدعوى ودرايته بأساليب التوصل لتحرير الواقع على وجهه وبحثه من لا غرض له من الجانبين.

وحيث يرد عليكم جواب الباحث بنتيجة البحث فلتتفاوضوا في ذلك وفيما يحتج به المدعي. فإن ثبت عندكم بطلان الدعوى فيجاب به المتكلم فيها، وإن ثبتت صحتها كلا أو بعضاً وكانت متعلقة بالرعية دون العامل فيكتب خديمنا الحاج محمد الطريس بما أنتجته مفاوضتكم لذالك العامل من تقرير الدعوى. وبيان حجة ثبوتها يستخرج الحق الثابت ممن تعلق به ويدفعه لأربابه على يد المكلف بالبحث.

ويبقى الفعّال متبوعين بما يقتضيه نظرنا الشريف في أدبهم. فإن أجاب العامل بالاعتراف بالواقع وتسليم ما كتبه له به خديمنا المذكور ونفذ مقتضاه فالأمر واضح ويجاب المتكلم بالمقتضى، ويطلع علمنا الشريف حينئذ بصيرورة الدعوى بدءاً وتماماً. وإن أجاب العامل بالمنازعة وعدم التسليم فيطلع علمنا الشريف بذلك لنصدر الحكم المتعين فيه. وإن كانت الدعوى متعلقة بالعامل نفسه فيعجل بإطلاع علمنا الشريف بها وبحجة المدعي فيها وبما حرره البحث المعمول فيها لنأمر فيها بالمقتضى كذلك إن شاء الله.

وإن عرض عليكم ما هو مخصوص بالأحكام الشرعية فيتصفح فقيه المجلس حجة المدعي ويبين حكم الله في النازلة وتبينون أنتم ما يظهر لكم فيها من جهة الأعراف البلدية والاعتبارات السياسية، ويكتب بشرح الجميع لجنابنا الشريف لنامر بالمتعين بحول الله.

وإن كان المعروض عليكم راجعاً لقضايا الديون فيحضر المدعي حججه فيها وتعرض أولا على فقيه المجلس ليتصفحها ويبين التام المقبول شرعا منها وغير المقبول ويعرف أعضاء المجلس بوجه عدم قبوله. أما غير المقبول فيجاب به المدعي في الحين. وأما المقبول فيكتب الخديم بما توافق عليه رأيكم معه لعامل الغريم إن ادعى رب الدين أنه رفع شكواه لذلك العامل ولم يفاصله مع خصمه. فإن فاصله العامل في حقه فذاك، وإلا، بأن ظهر منه عدم سلوك الأنصاف، فيعجل بإطلاع علمنا الشريف بالواقع.

وقد أصدرنا أوامرنا الشريفة للأمناء المذكورين فيما يرجع للبحث وما يتبعه، ولعمال المدن والقبائل المجاورة للمراسي كذلك بمقتضى ما ذكر، وحذرناهم عاقبة التراخي في الأجوبة أو الجواب بغير مفيد.

وإن ورد عليكم كتاب من شريف أعتابنا أو من أحد ولاتنا في حق لجانب المخزن أو لأحد من رعيتنا السعيدة على رعية الأجانب أو أهل حمايتهم فيسلك فيها ما سلك في دعاويهم على المخزن ورعيته.

وإن كان المعروض عليكم مما يرجع لمطالب الأجانيب المنوطة بمصالح دولهم أو رعيتهم أو مما يبديه بعض النواب من الأشارات والتنبيهات التي يقصدون بها النصيحة لجانب المخزن فيما هو خاص به أو برعيته فلتتفاوضوا فيه بتأمل وإمعان نظر تام، ويُطلع علمنا الشريف بما ظهر لكم فيه. وإن ورد عليكم أمر مخزني في بعض القضايا وظهر لكم فيه ما يقتضي مراجعة جانبنا الشريف لمصلحة فلتؤخروا تنفيذه وطيروا الكتب بشرح الوجه الحامل على المراجعة فيه لنرى فيه ويصدر لكم الجواب بالمتعين بحول الله.

ولتتخذوا لكل جنس من الأجناس كناشاً مخصوصاً به لترتبوا فيه نسخ ما يروج مع ذلك الجنس في كل قضية مع جميع متعلقاتها الكتابية والشفاهية بتواريخها. وجميع ما يصدر عن محل أشغالكم من كتابة أو مشافهة تثبت نسخة منه بمحل قضيته من الكناش المعين وتضعون خطوط يدكم عقبه ليكون عمل الكنانيش أعون على تحرير المتعين في كل قضية عند مراجعتها.

هذا وجميع الشروط والأوفاق التي بمحل أشغال المخزن هناكم نأمركم أن تجردوا أسماءها في تقييد ببيان موضوع كل واحد منها وتاريخه وعدد فصوله، ووجهوا التقييد لشريف أعتابنا لينظر فيه ويقابل بالشروط التي بحضرتنا الشريفة. فما كان نظيره موجوداً بها فأمره ظاهر، وما لم يوجد نأمركم بتوجيه نسخة منه، وإن وُجد بأعتابنا الشريفة ما لم يكن عندكم توجه لكم نسخة منه بحول الله.

فنامركم أن تشرعوا في ذلك من الآن على بركة الله وعونه، وأن تستفرغوا وسعكم وتبذلوا مجهودكم في القيام بهذا الشغل الذي لا أهم منه أتم قيام، وأن تبدوا جميع ما يظهر لكم فيه من النصائح لجانب المخزن وما ينتج عن ذلك من المصالح لرعيته، وتعلموا أن الاعتناء بهذا الأمر بنية صالحة هو أجل ما يكتسبه العاقل في دنياه، ويقتنيه لعُقباه.

نسأل الله لكم الأمداد بالأعانة والتسديد، وتظافر قلوبكم على التعاون في تشييد المصالح التي لا تبيد، إنه ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق، والسلام*.

في 04 جمادى الأولى عام 1318 / [30 غشت 1900]

---

* من خزانة الحاج العربي بنسعيد.

الحمد لله

نسخة مما كُتِب به للنائب السيد الحاج محمد الطريس، ونصه بعد الخطاب :

وبعد فإن من جملة المطالب التي كان طلبها سفير الصبنيول لما كان بشريف الأعتاب طلبه على لسان دولته الأنعام على رعيته سكان سبتة بفاضل ماء بليونش، لما يلحقهم من ضرر العطش وقت المصيف، حيث ليس لهم بها إلا الآبار، ويقل ماؤها في الصيف، ذاكرا أنه لا يطلب مزاحمة أهل الماء في شيء من مائهم الذي ينتفعون به، ولا مشاركة لهم في أصله، وإنما يطلب الأنعام عليهم بالقدر الفاضل عن سقي أغراسهم وزروعهم وسائر منافعهم، وينحدر لانصبابه في البحر، ولا منفعة لأهل الأرض فيه.

وحيث كنت قدمتَ الأعلام في ذالك بما شرحته أجيب السفير المذكور بأن هذا المطلب لا يمكن الجواب عنه بإمضاء مساعدة عليه، ولابد من توجيه المخزن أولا من يعتمد عليه في معرفة البلاد ومعاينة أصل عنصر الماء ومجراه، ويعرف ملاكه، وهل يفضل عنهم شيء منه وقت المصيف وينحدر للبحر، وهل يمكن وصول ذالك الفاضل لسبتة على الوجه الذي لا مضرة فيه على القبيلة حالا واستقبالا في مالهم وأرضهم أم لا، إذ لا يوافق المخزن على إدخال نوع من الضرر في ذالك على أهل الأرض بغير [حق ؟]. وحيث يتحرر البحث الكاشف في ذالك يظهر ما يكون.

وعليه فنامرك أن تجيبه بأن جانب المخزن قد أصدر أمره بإعمال البحث فيما ذكر على الوجه المذكور وفاء بما أجيب به مشافهة. وبعد تحريره يُعلم إن شاء الله بالمثال.

ثم نامرك أن توجه الطالب الزبير سكيرج ومن يناسب توجيههم معه من أهل المعرفة بهذا الشأن، ونائب عامل ءانجرة، وفارسا عاقلا من قبل عامل طنجة بعد ملاقاتك بعامل ءانجرة وتعريفك له بالغرض الباعث على توجه المذكورين، ليكون على بصيرة، ويعلم أن المقصود هو وقوف الموجهين على أصل الماء المذكور ومجاريه وما يتعلق به من منافع أهل الأرض في مواردهم وسقي أغراسهم وزروعهم وغير ذلك من منافعهم، وهل يفضل عنهم شيء منه وقت المصيف وينصب في البحر ويمكن أخذه من ءاخر ممره الذي لم تبق فيه منفعة لأهل الأرض، وأما من المحل الذي تبقى فيه أدنى منفعة لأهل الأرض فلا (إذ من جملة وجوه الضرر المشاركة في الممر) وهل يمكن وصول ذالك الفاضل لسبتة على وجه لا مضرة فيه على المخزن ولا على أهل الأرض.

ويجعل المهندس المذكور صورة الأرض ومجاري المياه من مبدإ عنصره إلى ءاخر مصب فاضله في البحر، ويجعل منها نسختين تبقي إحداهما عندك ووجه الأخرى لشريف أعتابنا مع شرح الواقع في ذالك كله شرحا شافيا ليظهر.

وكتابنا الشريف لعاملَ ءانجرة في ذالك، بالوقوف والقيام بمؤنة الموجهين وعلف بهائمهم مع كتاب ءآخر لأمناء طنجة بتنفيذ كراء البهائم لركوب الموجهين، يصلانك طيه، والسلام*.

في 13 جمادى الثانية عام 1318 / [8 أكتوبر 1900]

* أصل نسخة الرسالة السلطانية بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه

محبنا خديم سيدنا الأعز الأرضى النزيه النبيه القائد عبد الله ابن سعيد السلاوي،

سلام عليك ورحمة الله، عن خير سيدنا نصره الله،

وبعد، وصل كتابك بأن الصبيين اللذين توجها للتعلم بإيطاليا صغيران لا يميزان بين ما يضر وينفع في دين الأسلام، وربما يخشى عليهما من تمكن شعائر غير الأسلام في قلوبهما ونبذهما قواعد الشريعة، وبأنه يمكن تخليصهما من الوقوع في ذالك بتوجيه فقيه عاقل يلازمهما لتحذيرهما مما ذكر وحضهما على متابعة ما يُرضي الله ورسوله.

وأطلعنا بذالك شريف علم سيدنا فأصدر أعزه الله أمره الشريف للطريس في ذلك بالمقتضى، من غير تعريج له على بيان المخبر، وإنما أعلم بما بلغ العلمَ الشريف لتكون على بال. وحين يجيب تعلم بحول الله بما عليه العمل في ذلك، وعلى المحبة، والسلام*.

في 18 جمادى الثانية عام 1318 / [13 أكتوبر 1900]

عبد الكريم ابن سليمان
لطف الله به

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

محبينا الأعزين الأرضيين : القائد السيد عبد الله ابن سعيد والأمين السيد بناصر غنام،

سلام عليكم ورحمة الله، عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد فقد أجاب النائب السيد الحاج محمد الطريس عما تقدم له في ماء بليونش بأن مساعدة طالبه متعذرة، لكون الماء ملكاً لأربابه ولا يساعدون حتى على بيعه، زيادة على ما يترتب على ذالك من الخوض في رقبة الأرض.

وقرر ذالك لشريف علم سيدنا أيده الله. لاكن المقصود مما صدر له في ذالك هو توجيه المهندس للبحث عن ذالك، وإظهارُ أثر الاعتناء بمطلوب المتكلم، رفعا لما ادعاه من مصارفة المخزن معهم بالجفاء دون غيرهم من الأجناس، والمدافعةُ عن مطّلبه بعذر مقبول في الجملة.

وليس المراد عند المخزن مساعدتهم على المطلب المذكور. ومن أجله كُتِب لكما في المفاوضة مع النائب الطريس في المقصد الباطني، وأجيب النائبُ المذكور بما ذكر عن أمر سيدنا أعزه الله، حسبما بنسخة مما أجيب به عما ذكر تصلكم طيه لتكونوا من ذلك كله على بال. وعلى المحبة، والسلام*.

في 18 رجب عام 1318 / [11 نونبر 1900][1]

عبد الكريم ابن سليمان
لطف الله به

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه أجمعين

(طابع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن سعيد السلاوي،

وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد فإن هذه الخطط الجهادية من علم البحر وتطبْجِية ضعفت في الغرب حتى كادت أن تفقد. وقد اعتنى بها ملوك الأسلام في هذا الوقت، فانتفعوا بها انتفاعا بيّنا، وأدركوا منها ما لم يدركه غيرهم.

وقد بلغ إسماعيل باشا اهتمامنا بالأمور الجهادية حيث وجهنا له من يتعلم عمل البارود وغيره على الكيفية المعروفة عندهم. فأجاب بأنه اعتنى بأمرهم، وطلب تكليفه بما يتعلق بهذا الأمر، ووعد بالوقوف فيه.

غير أنه طلب أن يكون المتعلمون صغارا نجباء، لأنهم أقبل للتعليم وأسرع نجابة من الكبار. فاقتضى نظرنا تعيين ثلاثين من الأولاد الصغار النجباء وترتيبهم بحضرتنا الشريفة في تعلم ما لا بد منه من مقدمات ذالك من حساب وتوقيت وهندسة وشبه ذالك، ثم نوجههم بعد لمصر، وأردنا انتخابهم من أولاد الجيش البخاري وأهل فاس وأهل العُدوتين وأهل الصويرة.

فنامرك أن تنتخب من أولاد خدامنا أهل سلا الصغار ثلاثة، وقد أمرنا عامل الرباط بانتخاب ثلاثة من أولاد الرباط، ليكون ثلاثة طبجية وثلاثة بحرية، وليكن سنهم من أربع عشرة

سنة إلى خمس عشرة ممن يعرف الكتابة، وظهرت عليهم مخائل النجابة والذكاء والفطنة، وعِذهم وأهلهم بالإحسان التام من جانبنا العالي بالله في حال التعلم، زيادة على ما يترقبونه من إحراز المزية والمرتبة العلية لمن برع منهم فيما عين له. وحين تعينونهم وجهوهم لحضرتنا الشريفة، بعد أن يدفع لهم الأمناء ما يتزودون به ويكتروا لهم ما يركبون عليه واصلين لحضرتنا العالية بالله. فاطلعهم على كتابنا هذا ليعلموا بمقتضاه، والسلام*.

في 5 حجة الحرام عام 1283 [10 أبريل 1867]

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وسلم

محبنا الأعز الأرضى القائد الأمجد السيد الحاج محمد بن سعيد السلاوي،

سلام عليكم ورحمة الله، بوجود مولانا نصره الله.

وبعد وصلنا كتابك مخبرا بامتثالك لما أمر به مولانا من القبض على قائد عامر، وورود أعيان قبيلته الذين بالحوز، وقراء تك كتاب مولانا عليهم، وتأخير تخييرهم فيمن يصلح للولاية عليهم، تفصّيا من عدم قطع نزاعهم، وعرفنا أنهم التزموا قبول من يوليه عليهم سيدنا كائنا من كان، كما التزموا بأمر الطريق وغرم ما عسى أن يضيع بها، وأشرت بتولية الأول من المقيدين بالطرة ثم الذي يليه ثم الذي بعده إن اقتضى نظر سيدنا ذلك، واستأذنت في تسريح ابني عم المقبوض لكونك أدرجتهما معه لِئَلّا يفتنا دوّاره، وعرفنا أن عامر التحتيين إلى الآن لم يقدموا عليك، وعند وصولهم تخبر مولانا.

فاعلم أني أطلعت سيدنا أيده الله على كتابك، واستحسن السياسة التي ارتكبت في كيفية القبض، وفي عدم تخييرهم فيمن يولى عليهم، ودعا لك بخير غاية. وحين يرد كتابك على سيادته الشريفة يأمرك أيده الله بما يكون عليه العمل إن شاء الله.

وما وصلنا كتابك حتى بلغت القلوب الحناجر، لأنا جوّزنا حدوث ءافة للرقاص الموجه لك. والحمد لله على قضاء غرض مولانا، وعلى محبتكم والسلام*.

في 9 حجة الحرام عام 1283 / [14 ابريل 1867]

الطيب بن اليماني، الله له

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد، وبالطرة أسماء المرشحين للولاية على قبيلة عامر وهم : 1 محمد بن العروسي، 2 عبد الرحمان بن غريب، 3 الجيلالي بن الحفيان.

الحمد لله وحده　　　وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وسلم

(طابع السلطان مولاي عبد العزيز)

خليفة خديمنا الأرضى القائد عبد الله ابن سعيد السلاوي،

وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فقد عينا الأمين الطالب محمد بن الحاج محمد الحارثي السلاوي أمينا بالمركب «البشير» السعيد بطنجة، كما عينا الطالب الحسن بن اسماعيل (النسب) إمام الصلاة، والطالب محمد بن حسون (النسب) مؤذنا بالمركب المذكور، وأمرنا خدامنا أمناء مرسى العدوتين بتزويدهم وأركابهم لطنجة برأ أو بحرا حسبما بكتابنا الشريف الواصل إليك طيه.

وعليه فنأمرك أن تعجل بتوجيههم لخديمنا الطريس بقصد ذالك، والسلام*.

في 24 ربيع الثاني عام 1318 / [21 غشت 1900]

---

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده　　　صلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

(طابع السلطان عبد العزيز بن الحسن)

خليفة خديمنا الأرضى القائد عبد الله بن سعيد،
وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فقد بلغ علمنا الشريف أن التجار لا زالوا يتعاملون مع ولاة أوامرنا الشريفة من العمال والأشياخ ومن في معناهم ممن له يد تصرف بالقبض والدفع في رعيتنا السعيدة، فيعمرون ذممهم بخطوط أيديهم، ورسوم الأشهاد عليهم، سالكين في ذالك سبيل الغرر، معرضين أموالهم للتلف والخطر، متغافلين عما صدر من أوامرنا وأوامر سيدنا الجد المقدس

وسيدنا الوالد المنعم بالله بمنع ذالك والتحذير من تعاطيه، لكون الولاة المذكورين مضروباً على يدهم في ذالك ومثله، لأن جميع ما بيدهم هو لبيت المال عمره الله، حسبما تقدم وقوع التعاقد عليه، والالتزام بالعمل بمقتضاه.

وعليه فنامرك أن يجتمع معك أمين المستفاد هناك وعدلين مبرزين، وتجمع التجار واليهود بأساقفتهم وأعيانهم وتجددا الاسترعاء عليهم : بأن من خاطر منهم بمتاعه، وأعطاه لأحد من المذكورين فدَرَكُه على نفسه، وخطيئته لرأسه، سواء كان محميا أو غيره، ولا يُسمع له فيه كلام، بل يعود عليه بمزيد مَلام. إذ حسب العمال ومن في معناهم الاقتصار في شراء ضرورياتهم على المعاملة يداً بيد، وشد العضد فيما رُفع من الديون على إيالتهم بالمواجب التامة شرعاً. وأما تعمير ذمم الولاة فباب مسدود، ولا يقبل فيه خط يد ولا رسم إشهاد بوجه من الوجوه.

على أن من جملة المقاصد الملاحظة في تجديد هذا الاسترعاء الشفقةَ على التجار في بضائعهم، وتنبيهَ المشهورين منهم بعدم إلقاء أمتعتهم في معرض الضياع.

ثم أشْهدا عليهم بالعدلين المشار لهما جميع ما قُرِّر وما أجابوا به عن ذالك، ووجه الرسم به مثبتاً.

وبمضمنه أعلمنا القاضي وأمرناه أن يجمع العدول ويسترعي عليهم : بأن من عمر ذمة لوال من ولاة المخزن المذكورين تلزمه العقوبة الشديدة بحول الله، والسلام*.

في 5 رجب عام 1318 / [29 أكتوبر 1900]

* من وثائق الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده

لما ورد كتاب مولانا الشريف أعزه الله على الطالب الأجل سيدي أحمد الطالبي، خليفة عامل سلا المحروسة بالله القائد الأرضى السيد عبد الله بنسعيد بأنه بلغ علمه الشريف أن التجار لازالوا يتعاملون مع ولاة أوامره الشريفة من العمال والأشياخ ومن في معناهم ممن له يد تصرف بالقبض والدفع في رعية سيدنا السعيدة، فيعمرون ذممهم بخطوط أيديهم ورسوم الأشهاد عليهم، سالكين في ذلك سبيل الغَرَر، معرضين أموالهم للتلف والخطر، متغافلين عما صدر من أوامره الشريفة وأوامر سيدنا والده المنعم بالله وجده المقدس بمنع ذالك، والتحذير من

تعاطيه، لكون الولاة المذكورين مضروبا على يدهم في ذالك ومثله، لان جميع ما بيدهم هو لبيت المال، عمّره الله.

وأمَرَه مولانا أيده الله في أن يجتمع مع أمين المستفاد بالمحروسة المذكورة السيد مَحمد بن الحاج قاسم جسوس الرباطي، وعدليْن مُبَرِّزيْن، ويجمع التجار واليهود بأساقفتهم وأعيانهم، ويجددا معاً الاسترعاء عليهم : بأن من خاطر منهم بمتاعه وأعطاه لأحد من المذكورين فدَرَكُه على نفسه، وخطيئته لرأسه، سواء كان محمياً أو غيره، ولا يُسمع له فيه كلام، بل يعود عليه بمزيد مَلام، إذ حَسْبُ العمال ومن في معناهم الاقتصار في شراءِ ضرورياتهم على المعاملة يداً بيد، وشد العضد فيما رفع من الديون على إيالاتهم بالمواجب التامة شرعا. وأما تعمير ذمم الولاة فباب مسدود، ولا يُقبَل فيه خط يد، ولا رسم إشهاد بوجه من الوجوه.

على أن من جملة المقاصد الملاحظة في تجديد هذا الاسترعاء : الشفقة على التجار في بضائعهم، وتنبيه المتهورين منهم بعدم إلقاء أمتعتهم للضياع.

ثم يُشْهدا عليهم بالعدلين المذكورين.

امتثل الخليفة المذكور أمره الشريف المؤيد بالله، واجتمع مع الأمين المذكور، وأحضر جميع التجار الموسومين بالتجارة من المسلمين واليهود الآتي ذكر جميعهم، وقُرىء عليهم الكتاب الشريف حتى فهموه حرفاً، وجدَّدا الاسترعاء عليهم في جميع ما ذكر طبق الأمر الشريف أعزه الله.

فأجابوا بأجمعهم بالسمع والطاعة لما أمر به مولانا نصره الله، وعدم المخالفة لما أمروا به من قِبَل مولانا دام عزه وعلاه. وهم :

1 . سيدي الحاج مُحمد بن عبد الله الصبونجي
2 . وسيدي أحمد بن مولاي الشريف القادري
3 . ومَحمد بن عبد الهادي زنيبر
4 . والعربي بن الحاج عبد السلام ابن بوزيد
5 . والمعطي بن الحاج عبد الله حصّار
6 . والحاج الهاشمي بن ج مُحمد الصبيحي
7 . وعبد الله بن أحمد اجْفالَف
8 . وعبد الكريم بن مُحمد المالقي
9 . وسيدي محمد بن عبد الله بن الحارثي حجي
10. وشقيقه سيدي أحمد
11. وأحمد بن الحاج مُحمد الأحرش
12. والحاج محمد بن عبد الله الرايس
13. وسيدي أحمد بن عبد العالي
14. والحاج مُحمد بن الحاج مُحمد بوخموش
15. والحاج محمد بن عبد الحق السدراتي
16. والهاشمي بن محمد فنيش
17. والحاج مُحمد بن ج عبد الرحمن لَغلَوا
18. وسيدي الحاج المختار حجي.
19. والطاهر بن الحاج مُحمد بن يحيى
20. وبوبكر بن الحاج محمد بنسعيد
21. والحاج محمد بن عُبيد الدكالي
22. والسيد محمد بن ج بوبكر الحصيني
23. وسيدي مَحمد بن مومن البنحسيني
24. والسيد محمد بن ج محمد ابن بوزيد
25. والحاج عبد القادر بن عمر شْمَاعُوا
26. والحاج حجي بن لَحْسَن
27. والهاشمي بن الحاج أحمد السمار
28. ومَحمد بن عبد القادر بوحميدة
29. وأحمد بن محمد بنسعيد
30. والسيد مُحمد بن أحمد (النسب)
31. وج أحمد بن الحاج محمد فنيش
32. والحاج عمر بن ج عبد الرزاق الدغمي
33. وسيدي عبد السلام بن سيدي بوسلهام البُرْهمي
34. وسيدي الحاج البهلول المنصوري

35. وعبد الله بن أحمد الغنيمي
36. والحاج مُحمد بن عبد السلام عميرة
37. والحزان رفايل بن القاوة
38. ويهودا بن زالآك
39. وسليمان بن زالآك
40. ومسعود الوسقي
41. وشْلُومُوا بن حايوت
42. وعمران بن الليبي
43. ويهودا الترجمان
44. ومسعود بن الْيَهُوا زُلايْ
45. وداوود بن عمران بن السَّفط
46. وافرايم بن موشي حسّان
47. واسحاق بن يهودا بن زالآك
48. وداوود كوهن
49. وابنه يوسف
50. وحايم بن مسعود (النسب)
51. وإسحاق بن مسعود (النسب)
52. وإسحاق بن الْيوي (النسب)
53. وشلومُوا بن الْيَهُوا ميّال
54. واسحاق بن الْيَهُوا بن القاوة
55. واسحاق بن الدهان
56. والحزان يعقوب بن زالآك
57. وإسحاق أبيرجل

فمن شهد على التجار المذكورين ـ بما فيه عنهم : المسلون بأتمه إطلاقاً، واليهود بِحَال صحة وطوع وجواز وعُرْفِهم ـ قيده في ثالث شعبان الأبرك عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف [26 نونبر 1900]*.

عبد ربه محمدٌ بن دحمان لطف الله به في الدارين

وعبيد الله محمد المريني

الحمد لله،

أدّيا فقبلا وأعلم به أسير نفسه : محمد بن محمد السدراتي، لطف الله به في الدارين.

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد، والترقيم من عندي

* * * * * * * *

نسخة من كتاب الوزير السيد المهدي المنبهي

محبنا الأرضى خليفة عامل سلا السيد أحمد الطالبي،

أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله، عن خير مولانا نصره الله.

وبعد فيامرك سيدنا أعزه الله أن تنتخب ثلاثين 30 نفرا من طبجية سلا، وتوجيهها للأعتاب الشريفة، مع حامله الوارد عليك صحبته بقصد مصاحبتها مع الركاب الشريف على العادة المقررة في ذالك، وعلى المحبة، والسلام .

في 13 قعدة عام 1318 / [4 مارس 1901]

الحمد لله وحده　　　　وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه

(طابع السلطان مولاي عبد العزيز)

خليفة خديمنا الأرضى القائد عبد الله بن سعيد،

وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فقد اشتكى على حضرتنا العالية بالله مشتري صاكة الطرقة بمحروسة رباط الفتح بقلة مدخولها حتى أشرف على العدم بسبب تعاطي أهل البادية بأحواز سلا والرباط وغيرهما لحرائتها عندهم وبيعها بأسواقهم، مع أنك مأمور بشد عضده.

وعليه فنأمرك بالقيام على ساق في شد عضده وإلزام من إلى نظرك من أهل البادية التخلي له عنها على الضابط المقرر في ذلك، وتحذير غيرهم ممن يتعاطاها من الخوض فيها، ومن وُجد بيد أحد منهم شيء من ذالك يُحاز منه للمتصرف فيها بما عهد يُحاز به، وإن تراخيت في ذالك ولم تشد عضده فيه يكون الدرك عليك.

وقد أمرنا غيرك من عمال الجوار بمثله، والسلام*.

في 15 ربيع النبوي عام 1319 / [2 يوليوز 1901].

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده　　　　وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

(طابع السلطان مولاي عبد العزيز)

خديمنا الأرضى القائد عبد الله ابن سعيد السلاوي،

وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فقد اقتضى نظرنا العزيز بالله، ورأينا السديد الموفق بعناية الله انتشاء تأسيس خمسمائة من الرجال بذالك الثغر المحوط من الله بعين الرعاية ممن تظهر صلاحيتهم للخدمة

السعيدة العسكرية الذين سنهم في السنين من العشرين إلى الثلاثين، مع سلامتهم من كل ما يشين : كقصر قامة أو نقص في الخِلقة بِعَوَرٍ أو عَرَج أو عاهة، واستخلافهم هناك من كل من له رغبة في الانتظام بها من أهل البلد وغيرهم من جوارها وأحوازها، من غير إكراه على أحد في ذالك، رجاء أن يُقيِّض الله له من عباده الموفقين من أخلص نيته في تكثير سواد المسلمين، ورغب في الفوز برضى الله العظيم، وما في ذالك من ثوابه الجسيم.

وعليه فنامرك بالتصدي لذالك، والقيام على ساق الجد فيما هنالك، وصرف عنان الاعتناء إلى جمع العدد المذكور، وركض سوابق الهمم في ميدان سعيه المشكور. وكل من استُخلف منهم في يومه يُشهد عليه بالعدول رضاه الخدمة العسكرية عن طيب نفسه، ويقيد في كناش عددهم باسمه ووصفه ونسبه وترتب له مئونته وهي مثقال مياومة يدفعه له أمناء مرسى العدوتين حرسهما الله يدأ بيد، إلى أن يكمل بحول الله ذالك العدد. وكلما تيسرت منهم مائة كاملة تعطاهم الكسوة العسكرية على يد الأمناء المذكورين. فقد أمرناهم بذالك، وليكونوا يجتمعون بالقشلة العسكرية التي هناك. أعانكم الله ووفقكم، والسلام*.

في 25 شعبان الأبرك عام 1320 / [27 نونبر 1902]

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

أسعد الله أيام خديم سيدنا، القائد الأبر الأرضى، الأجل المكرم المرتضى، السيد عبد الله بن سعيد،

أمنك الله ورعاك، وسلام على سيادتك ورحمة الله، عن خير مولانا أيده الله.

وبعد فاعلم وأنه ورد علينا أمر المخزن أعزه الله بحيازة الغرسة الدغمية التي للفقيه السيد المهدي المنبهي، قد دفعها لجانب المخزن أعزه الله فصارت من جملة أملاك المخزن.

وعليه فالتُوجِّه لنا نائب الأمين الأجل سيدي أحمد الطالبي التي بيده الغرسة المذكورة لندفع له كتاب المخزن، أعزه الله، الذي يأمره فيه بحيازتها لنا بجميع ما فيها ليحوّزها لنا على مقتضى ما أمرنا به، ولا بد، وعلى المحبة، والسلام*.

في 19 رمضان المعظم عام 1321 / [9 دجنبر 1903]

محمد بن التهامي العلامي
لطف الله به

نائب المحتسب
العربي بن عبد الله، وفقه الله

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه

(طابع السلطان عبد العزيز بن الحسن)

خديمنا الأرضى القائد عبد الله ابن سعيد،

وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فنامرك بالبحث والتنقيب عن جميع ما هو للمهدي المنبهي - من الأملاك والمالية والحراثة والبهائم والمواشي والأنعام وغير ذلك مما يطلق عليه اسم متاع - بسلا ونواحيها، وتثقيف ذلك، وتحصينه وتطيير الأعلام بالبيان والمحل ليصدر لك أمرنا الشريف بما يكون عليه العمل فيه، والسلام*.

في 11 جمادى الأولى عام 1322 / [24 يوليوز 1904]

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

محبنا الأعز الأرضى القائد السيد عبد الله بن سعيد السلاوي،

أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله، عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد وصلنا كتابك بأنك قدمت الأعلام للحضرة الشريفة باختطاف السهول لنصراني نجليزي من وادي العدوتين، وقيامك على ساق في استرجاعه. وقد نجحت مباشرتك لذالك، وَرُدَّ النصراني المذكور سالماً، ودُفع بيد قنصله بالرباط، ذاكراً أنك كنت جادا في رده بدون «طمع».

ثم إن قنصل الألمان صادفه الحال خرج عند بعض أصحابه من السهول بقصد استرجاعه، وأظهر لهم المال على ذالك، فلم يمكن إلا رده من يد الخاطفين له بأداء ما كافقوا فيه مما يدعون أن عامل الرباط لم ينصفهم فيه، وقدره مائة وخمسة وأربعون ريالا. وعلمنا ما

تضمنته نسخة كتابك في ذالك لحضرة مولانا الشريفة، وصار بالبال بعد إطلاع العلم الشريف به.

وقد استحسن سيدنا أعزه الله وقوفك، ودعا لك أيده الله بالتسديد والأعانة، ولمثل ذالك يُدخر أمثالُك. وقد أصدر أيده الله شريف أمره للسويسي في ذالك بالمتعين، ويأمرك أعزه الله أن تزيد على عملك في رد البال بمزيد الاعتناء والحزم وتجديد المعاهدة مع القبائل الجوار على العرف الجاري بينكم وتكليم أعيانهم في إجراء «التربية» على إخوانهم الفعَّال والتعاقد معهم على عدم العود لمثل ذلك. وإن تد تّب لهم حق على عامل الرباط فيرفعونه إليك لتكلمه فيه بقاعدته، ثم إن لم يُنصِف فترفع الأمر لشريف الحضرة ويقع لهم الأنصاف منه. وعلى ذالك يكون عملهم مع خليفتك في غيبتك. وعلى المحبة والسلام*.

في 18 رجب عام 1322 / [28 شتنبر 1904]

عبد الكريم ابن سليمان،
لطف الله به.

---

* من وثائق الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

حبنا الأعز الأرضى، القائد الأجل الأحظى، الفقيه السيد عبد الله بنسعيد،

أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله، عن خير مولانا نصره الله.

وبعد وافانا كتابك بأن نصرانيين إنجليزيين نزلا في فلك للتفسح بالوادي، فخرجت فيهما جماعة من السهول، فرمى أحدهما بنفسه للبحر وسبح وخرج للرباط، وذهبوا بالآخر، وأنك لما أخبِرت بذالك أنهضت من يبحث عنه فوجدوه سالماً، ثم أنهضت من يقف في رجوعه، وكتبتَ لمن هو عندهم، وأنك أطلعت بذالك شريف علم سيدنا أعزه الله، وبعدم إنصاف عامل الرباط جماعة السهول فيما لهم عليه من الدعاوي، ومكافقتهم إياه في شأنها.

كما ورد كتابك الثاني بالأعلام برجوع النصراني وبتوجيهه لقنصل جنسه. وعلمنا جميع ما شرحته مما وقع الكلام في شأنه وهو عندهم، وأن أصحابك لما رأوهم يريدون نقض ما أبرموه أمضوا معهم بما يدعون به، وتولى أمر ذالك بعض أهل البادية الذين وجههم القنصل

للخروج من فتح الباب، وأنك وعدت الذين خرجوا بالأحسان إليهم إلخ، وطلبت الأخذ باليد في كتاب شريف لأمناء الفرسى بالمساعدة على ما تكتب لهم به، وصار بالبال.

فالحمد لله على السلامة، وأسأل الله تعالى أن يسكن الروعة ويخمد الفتنة، ءامين.

نعم، هذه الدعاوي التي للسهول على القائد السويسي لم يُدْرَ ماهي، وعند قدومنا إن شاء الله يقع البحث فيها ويباشر أمرها بحول الله.

هذا وقد كنا وجهنا لك كتاباً عند حلولنا هذه الحضرة الأدريسية، ولم يأت منك جواب. كما أنه لم يصلنا منك كتاب عدى الكتابين المذكورين صدره. وقد وجهنا لك في هذه الأيام كتاباً وبطيه كتاب شريف لتأخذ في التأهب للسفر بالسلامة. والمولى سبحانه يتولانا وإياكم بما تولى به الصالحين من عباده، ءامين، وعلى المحبة، والسلام*.

21 رجب 1322 / [فاتح أكتوبر 1904]

عبد السلام التازي،
لطف الله به.

---

* من خزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * *

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

(طابع السلطان عبد العزيز بن الحسن)

خديمنا الأرضى القائد عبد الله بن سعيد السلوي،

وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فقد وصل كتابك بأن بعض النصارى من سواح جنس الفرانصيص توجهوا من الرباط لمهدية وأكرموا ولد عاملها بما بينته ودفعوا للقائد أبيه ما ذكرته على ما بلغك، وكذلك يفعلون مع كل من تحرك معهم من الخدمة والمخازنية. وصاروا يبحثون عن عين مهدية بقصد شرائها، وتوجهوا في فلوكة صحبة عامل مهدية للقنيطرة لاختبار عمق الوادي، وحفروا حفرة في دار العامل، وصاروا يستجلبون أعيان عامر، ويجعلون اليد معهم، وصار بالبال.

فها نحن وجهنا حامله من حضرتنا الشريفة بقصد تحقيق الواقع، والتطلع على حال من ذكر، والوقوف في مباشرة أمرهم، والسعي في استنهاضهم من هناك، ورجوعهم للرباط بسلام.

وكتبنا لعامل مهدية في ذلك بالمقتضى. فلتكن على بال من ذلك، حتى يحصل المقصود من استنهاضهم وانحلال ما يحاوله الغير معهم وتسليم الحد لمحدوده، والسلام*.

في 27 رجب عام 1323 / [27 شتنبر 1905]

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه

(طابع السلطان عبد العزيز بن الحسن)

خديمنا الأرضى الطالب عبد الله ابن سعيد السلاوي،

وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فقد أرحناك من الولاية على ثغر سلا ومن بخارجه من حساب عمالته وولينا على ذالك غيرك.

فنأمرك أن تتخلى له عنه، والسلام*.

في 14 من ذي القعدة عام 1323 / [10 يناير 1906]

* الأصل بخزانة الحاج العربي بنسعيد.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

محل الأخ الأعز الأجل الأرضى، القائد الأود الأحظى، الأمين السيد الحاج الطيب الصبيحي

رعاك الله، والسلام على سيادتكم ورحمة الله، بوجود مولانا أدام الله علاه.

وبعد وصل كتابكم الأعز بأنه ورد عليكم الأمر الشريف أسماه الله بتوليتك على أهل سلا، وأنك تركت نائباً عنك بالمرسى وتتوجه عاجلا، وقد ضاق بك الأمر وما عرفت ما تصنع لعدم الأطاقة وعدم الغرض في ذالك، وإنما الأقدار ساقت ذالك، وليس إلا الامتثال، وقد شرعت في تصفية الأمور والسفر بعد العيد قريباً بحول الله.

فسمعاً وطاعة لما أمر به سيدنا أعزه الله، وقد وقع والحمد لله الشيء في محله لفضلك وديانتك وأمانتك على أموال المسلمين وأعراضهم. وقد فرحنا لذالك ولنظر مولانا المنصور بالله في رعيته. ولا يهمك ذالك لنباهتك وحسن تدبيرك، ولا حرج، إن الله يعينك لعدم طلبك لهذا الأمر كما جاء في الحديث الكريم، وهو الكفيل في الأعانة والتسهيل، والهداية إلى أقوم سبيل، مسلما عليكم من الأولاد، ومنا السلام على الأحبة والفقيه السيد عبد الغني وسائر الأحبة.

ودمتم في أمان الله، وعلى المحبة والسلام*.

في 2 حجة 1323 / [28 يناير 1906]

محمد عبد الله بن سعيد
كان الله له

* من خزانة الحاج العربي بنسعيد وبخطه.

خدامنا الأرضين أهل سلا وأعيانهم وكبراءهم،

وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد فقد بلغ علمنا أن فلكاطتين لجنس الفرانصيص وردتا لمرسى العدوتين وتشوشتم منهما وخشيتم أن يقع منهما ما وقع بالدار البيضاء.

وعليه فنامركم أن تقوموا على ساق الجد في تسكين روعة أهل البلد، وفي صيانة الأجانب إن كانوا بها، والمحافظة عليهم حتى لا يصلهم أحد بسوء ولا مكروه بوجه من الوجوه. فإن سبب ما وقع بالدار البيضاء هو مد اليد في الأجانب الذين بها. وما دمتم محافظين عليهم ولم يصلهم أحد بمكروه فلا يصدر لأهل العدوتين من الفلكاطتين سوء ولا مكروه قطعا

فاعملوا ما تعين عليكم في صيانة الأجانب حتى لا يلحقهم مكروه من أحد، ألهمكم الله رشدكم ووفقكم والسلام*.

في فاتح رجب الفرد الحرام عام 1325 / [10 غشت 1907]

* من كناشة الحاج عمر بن الحاج علي عواد، الورقتان 11/10 بالخزانة الصبيحية.

أما بعد أداء ما يجب لمقام مولانا الأمام، وملاذ الخاص والعام، من التبجيل والتكريم والاحترام :

فغير خاف على شريف علمه أعزه الله ما حل بثغر الدار البيضاء صانه الله، وماءال إليه أمر المسلمين مع رعاع البادية وغوغائها، ونقل ذلك إلينا بروايات يشيب لسماعها الرضيع، وينفطر منها قلب الرفيع والوضيع، وشاع ذلك وذاع بالقبائل المجاورة للبلد وغيرها، فهاجوا وماجوا، وبلغنا أنهم تحالفوا وتعاهدوا على الزحف على المدينة والهجوم عليها بخيلهم ورجلهم، فوقع منا ذلك موقعا عظيما. نعم عامل البلد رعاه الله صرف وجهة اهتمامه لكف اليد العادية منهم بواسطة بعض ولاتهم. ومع ذلك لا نأمن على نقض عهدهم حالا أو مئالا.

هذا والمراكب الحربية ومدافعها النارية على سطح مياه هذا الثغر المحروس نتوقع ما يوجب احتلال عساكرها، والأمر لله ولا ناصر إلا الله. والآن إن لم يتداركنا مولانا أعزه الله بحلول ركابه الشريف يخشى مئال الأمر إلى غاية يتعذر علاجها، إذ بحلول ركابه الشريف أو نهوضه حيث شاء أيده الله، تنكف رعاع البادية لا محالة إن شاء الله تعالى، ويباشر الأمر مع الدولة الفرنسوية ويحد طمعها. فالعجل العجل، والبدار البدار، فقد بلغنا إلى أعلا درجة من الاضطرار، سيما حيث كثر تشوف أهل البادية وسكان البلد منهم إلى القتل والنهب نظير ما صنعه أهل الشاوية بالدار البيضاء.

وكتبنا هذا لسيدنا والله أعلم بالحال. فالمؤمل من سيدنا دام عزه ونصره مساعدتنا على ما اقترحناه على جنابه الأسمى، ومقامه الأحمى، أبقاه الله تعالى منصور الراية، في البداية والنهاية، وعلى خدمته وطاعته، طالبين صالح أدعيته، والسلام*.

اهل سلا

في 8 رجب عام 1325 / [17 غشت 1907]

* من كناشة الحاج عمر بن الحاج علي عواد، الورقتان 24/23، بالخزانة الصبيحية.

* * * * * * * *

أما بعد تقبيل حاشية البساط الشريف، وأداء ما يجب لمقام مولانا من التبجيل والتشريف :

فينهى لشريف علم مولانا المؤيد بالله أنه قد ألقي إلينا كتابكم مخبرا فيه أعزه الله ما بلغ شريف علمه من التشويش الذي حصل لنا بسبب ورود الفركاطتين الفرنسويتين، وآمرا أيده الله بالقيام على ساق في تسكين روعة أهل البلد، وصيانة الأجانب إن كانوا هنا حتى لا يصلهم أحد بسوء،

وأن سبب ما وقع بالدار البيضاء هو مد اليد في الأجانب، وما دمنا محافظين عليهم لا يلحقنا منهم مكروه إلخ.

فالسمع والطاعة لما أمر به مولانا المؤيد بالله، فقد وجد الحال العامل حفظه الله على غاية من التحفظ والقيام على ساق بما ذكر وبذل ما في وسعه وطوقه لدى ورود الأمر الشريف هذا المجاب عنه. غير أن الشرط الذي اشترط كبير الفركاطة على عاملي العدوتين بدار سفارة جنسه هو ليس في وسعنا وطوقنا : إذ صريحه أنه مهما حدث شيء في حق الأجانب من زيد أو عمرو، حضريا كان أو بدويا، بلديا أو ءافاقيا، داخل البلد أو خارجه، فإن البلدتين معا تُسحقان. وهذا شرط يستحيل التفصّي من عهدته، والخروج من درك حل عقدته، وملتزمه في خطر عظيم، ومرتع وخيم. وما سمعنا بدولة من الدول ابتدعت شرطا يستحيل القيام به، وألزمت أهل بلدة العمل بمضمنه، بمرأى ومسمع من أميرها، ومالك زمامها. هذا وليس في شرط من الشروط السابقة واللاحقة مواخذة الطائع بالعاصي، فضلا عن استئصال بلدة غاصة بسكانها وقطانها البالغين عدة ءالاف ـ والله أعلم بعدتهم ـ تُقدم ضحايا ـ لا قدر الله تعالى ذلك ـ في مقابلة جناية لا يتوقع صدورها إلا من الغوغاء والرعاع، الذين لا يميزون بين المتبوع والأتباع. وهذا أمر يأباه العدل والأنصاف. نعم إن تواطأ أهل بلدة على ما يخل بنظام الأجانب ويخالف القوانين المؤسسة معهم فهناك يسوغ لخصمهم مواخذتهم بواسطة أميرهم ومتبوعهم، لا منه إليهم، كما هو المعهود من سائر الدول، وعليه في باب السياسة [الاعتماد] والمعول.

وما حملنا على الأطناب في الجواب إلا فرط الاضطرار. والمولى سبحانه يدافع عنا بأحسن الدفاع، ويبقي مولانا محروسا بعين رعايته، في بداية الأمر ونهايته. وعلى خدمة مولانا أعزه الله، طالبين رضاه، والسلام*.

[أهل سلا]

---

* من كناشة الحاج عمر عواد، الورقتان 23/22 بالخزانة الصبيحية. والوثيقة لا تاريخ لها، وهي جواب عن رسالة السلطان إلى أهل سلا، في فاتح رجب 1325.

* * * * * * * *

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

أدام الله العز والنصر والتمكين، والظفر والتأييد والفتح المبين، لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين.

وبعد تقبيل حاشية بساطه الشريف، وأداء ما يجب لمقامه من الأجلال والتشريف:

ينهى لكريم العلم أن خدام الجناب الشريف كانوا التجأوا إلى ظل أمنه الوريف، مما دهمهم من الحوادث الوقتية، وحل بهم من انتهاك الحرمات الدينية، مما لا تصبر عليه نفس حر مسلم كريم، ولا يرضى على المُقام عليه إلا النذل اللئيم. وأي باب يُلجأ إليه سوى باب إمامنا الذي هو خليفة الله ورسوله علينا ؟ ومعلومٌ غيرته الدينية، وهمته العلية، فإننا نعلم أنه لا يرضى لنفسه ولا للمسلمين بالدنية، ويبذل غاية جهده في الذب عن الرعية.

فالغوث الغوث يا ملجأ المسلمين وملاذ المؤمنين! فإننا نرى مقابرنا تنبش، ووجوه أهل بلدنا بالامتهان في كنس الأزبال تخدش، ونرى في محراب مصلى العيد، ماهو على المسلمين شديد، ومن الأنسانية بعيد. ومُنعنا من السفر إلا بتسريح، وهو في نفي حرية الوطن صريح. كما مُنعنا من المرور في بعض طرقنا العامة، ووقع الدخول على المحارم في الحمامات والدور. وهو أيُ طامة في أشياء استوفاها الكتاب السابق، تماثل ما ذُكر من البوائق، مما لا يحتمله الدين، ولو في المعتدين. وقد أردفناه بهذا إلحاحا في الطلب واستنزالا لروحانية الأجابة، وإعلاما بما وقع أمس من منع الانتفاع بالغابة، مع أنها من مرافق البلد التي لا يمكن الاستغناء عنها، إذ هي تسرح المواشي والبياض والحطب منها.

وهذه استرعاءات سيدنا على من يريد تملك شيء بمنع ذلك مصرحة، حفظا لبقاء عموم تلك المصلحة. حتى أن جنابه الشريف لا يمضي عليه زمان، إلا ويتجدد منه في ذلك إعلان. وربما حمى شيئا منها فلا يقرب إلا بإذنه، سدا لباب الطمع في وجه من يريد تملك شيء منها ولو بوزنه.

وقد ساعدهم العامل على منع هذا الانتفاع، على عاداته في ترك الدفاع. وبما أنسناه من مولانا بفتح السمع لطلبنا، إذ أخذت تظهر لنا مخاييل رفع ما أضر بنا: أطلعنا علمه بهذا الكتاب بالأمضاء، حيث كان الذي قبله بدونه لدهشة المفاتحة ولا سيما في مثل هذا القضاء، وقد أفتتنا القلوب بتحقيق الرجاء وقرب الفرج، واستروحنا الجواب اليوسفي بنفي التثريب والحرج، وإنه عن قريب تتخلص قائبة منْ قوب، ونفرح فرح يعقوب، طالبين من مولانا رضاه، والسلام• على المقام الكريم ورحمة الله.

في سابع ربيع الثاني عام ثلاثين وثلاثمائة وألف [26 مارس 1912]

خدام المقام العالي بالله: أهل سلا، جبر الله كسرهم:

1 . علي عواد، وفقه الله بمنه، 2 . أحمد عواد، كان الله له بمنه، 3 . محمد الطيب الناصري لطف الله به، 4 . ومحمد الهاشمي بن خضراء كان الله له، 5 . ومحمد العربي الناصري لطف الله به، 6 . وادريس بن عبد الله بن خضراء كان الله له، 7 . بنعيسى بن عبد الرحمان لعلوا أمنه الله، 8 . محمد بن عبد الرحمان لعلوا أمنه الله، 9 . أحمد الصابونجي لطف الله به، 10 . عبد الله الصبونجي لطف الله به، 11 . أحمد الأحرش لطف الله به، 12 . محمد بن عبد الله حجي، 13 . أحمد القادري لطف الله به، 14 . أحمد الطالبي رعاه الله، 15 . محمد الطالب معنينْ لطف الله به، 16 . الحاج بوبكر بن أحمد زنيبر لطف الله به، 17 . أحمد حجي لطف الله به، 18 . الطيب عواد لطف الله به، 19 . محمد زنيبر لطف الله به، 20 . أحمد بن محمد عواد لطف الله به، 21 . محمد امسطس أمنه الله•.

• الوثائق الملكية رقم 17257

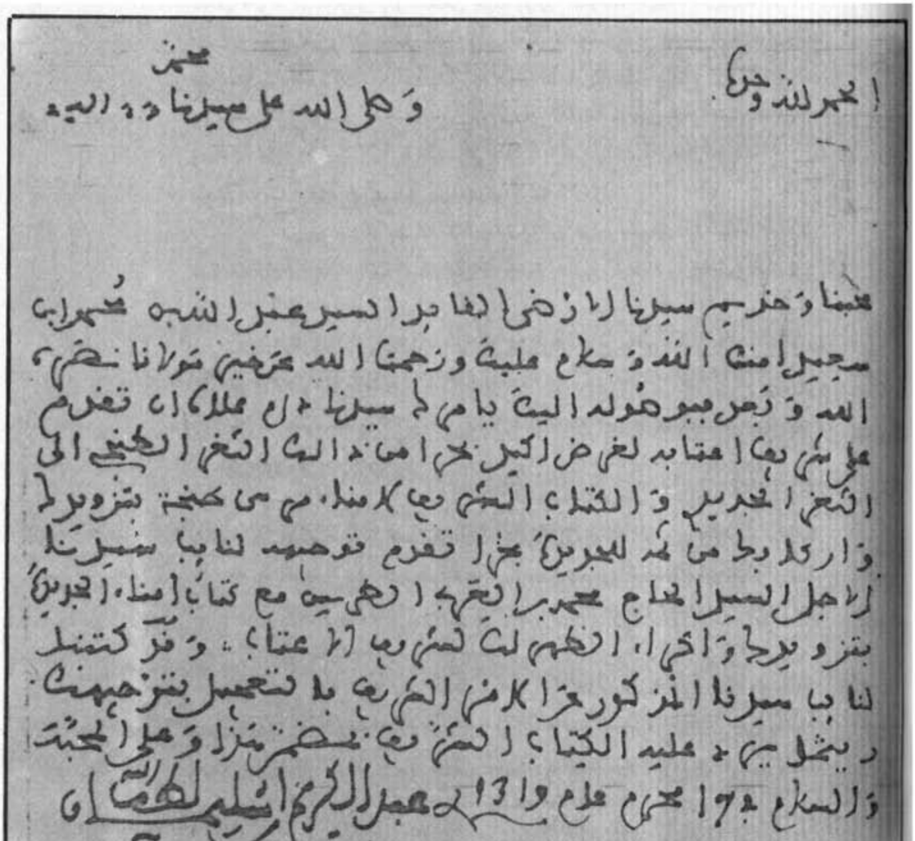

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا وخديم سيدنا الارضى القايد السيد عبد الله بن محمد ابن
سعيد امنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره
الله وبعد فبوصوله اليك يامرك سيدنا دام علاه ان تقدم
على بيع اعتابه لغرض الكيل ... الثغر الطنجي الى
الثغر الجديدي وللكتاب الذي بعد الامناء من ... بتزويرك
وارك ... للجديدة ... تقدم فتوجههم لنايب سيدنا
الاجل السيد الحاج محمد بن العربي الطريس مع كتاب امناء الجديدة
بتزويرهم واخبار ... ومن كتبتم
لنايب سيدنا المذكور ... فلا تستعمل بتوجيههم
ويتخلو ... عليه الكتاب ... بنظر ... وعلى المحبة
والسلام في 7 محرم عام 1313 عبد الكريم ابن سليمان لطف الله به

رسالة من وزير خارجية المغرب
إلى القائد عبد الله بنسعيد

« خطاب من ابن المترجم السيد المهدي بنسعيد »
إلى مؤلف الكتاب

بعد ما اطلع ابن المترجم على ترجمة والده، وجه هذا الخطاب إلى المؤلف، ننشره مع الترجمة، شاكرين له حسن ظنه، داعين له بالتوفيق
«المؤلف»

أستاذي الجليل،

قبل التخلص إلى الاعتراف بالجميل والشكر الجزيل لفضيلتكم على جليل عملكم، أود أن أتعرض ولو بصفة وجيزة، إلى العلاقات الخالصة المخلصة التي كانت تربط بين جدكم والدكم بصديقه الحميم والدكم المنعم الشريف العلامة سيدي مولاي أحمد القادري. فلقد بلغت درجة ومكانة محبتهما، على سبيل المثال، أن التمس والدي، وهو طريح الفراش قبل وفاته، من أخيه الحبيب العلامة والدكم رحمة الله عليه تلبية رغبة له في استصحابكم لزيارته، رغم حداثة سنكم، وأنتم ابنه الأصغر آنذاك، طلبا له أمنيته في رؤيتكم قبل أن يفارق الحياة. (1)

كما أرى من الأكيد كذلك الإشارة إلى كوني تشرفت بالتتلمذ عليكم مما جعلني أتردد في مخاطبتكم بين استعمال عبارة "أستاذي" وعبارة "عمي" لكن غير أني آثرت في الأخير عبارة أستاذي لما تحمله في مضمونها الموضوعي من تقدير ولإجلال وتعظيم، رغم أن عبارة "عمي" أقرب إلى القلب من غيرها وأبلغ صلة وتعبيرا منه

فما عساني أقوله في مؤلف اجتمع فيه ما افترق في غيره من الخصال المحمودة. أقول بكل موضوعية وحرج أيضا: إنه غني عن المدح لما جبل الله من مثالية ومزايا خلقية قل نظيرها في غيره كحنكة وتضحية، وشهامة وعلم، وسمت حسن، تلك المزايا التي أهلته ليختاره صاحب الجلالة والمطابة لمنصة من أشرف المهام وأسماها في المملكة الشريفة.

فلا غرو إذا أن يفوح وفضلي من هذا الرعيل بتشريف رجل من رجالات المغرب مثل الفائد عبد الله بنسعيد بترجمة لحياته، وهو أفنى حياته في خدمة الوطن والعرش العلوي المنيف. فشكرا لا مزيد عليه لمؤلفنا الأستاذ أبو بكر القادري على عمله الذي ستحفظه له الأجيال على الحظوة والاعتبار الذين أحاطهم بهما رجلا مثل المرحوم أبي، أغفل المؤرخون المحدثون الكلام عنه، رغم مواقفه وغيرها من أجل هذا الوطن وعرشه، شهد بها الأجانب خصوم هذا الوطن.

فباسم المرحوم والدي وباسم كل أبنائه فرادى، أشكر لفضيلتكم مبادرتكم الطيبة التي تركن سلسلة التراجم التي تتناولونها العينية بعد الأخرى من حق وطنيين فضوا التسليط الأضواء على أعمالهم من أجل هذا الوطن.

العزيز
المهدي بن عبد الله بنسعيد

(1) ملاحظة من المؤلف: الشخص الذي أخذني إلى بيت المرحوم عبد الله بنسعيد، هو خالي المرحوم السيد أبو بكر الطريسي، والدي الذي كان إذ ذاك متغيبا، إلى عفو الله، خوفا من التشويش عليه.
أبو بكر القادري

رسالة وجهها ابن صاحب الترجمة،
السيد المهدي بنسعيد، إلى المؤلف.

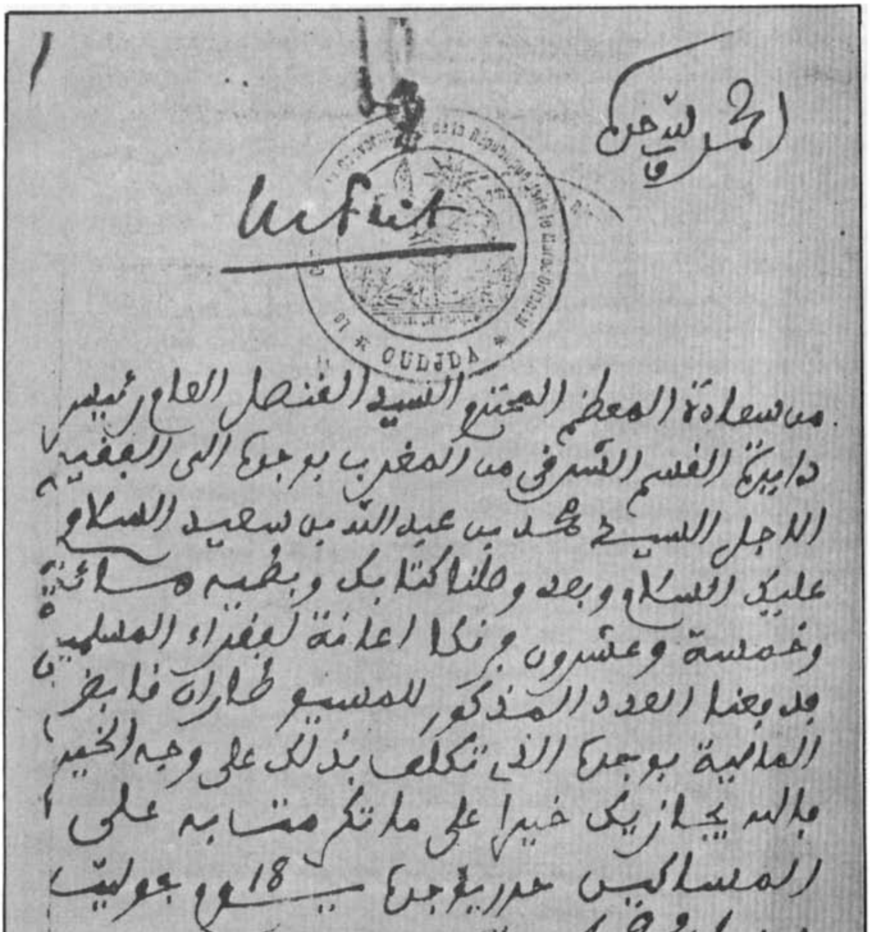

الحمد لله وحده

من سعادة المعظم المحترم السيد القنصل العام رئيس
دايرة القسم الشرقي من المغرب بوجدة الى الفقيه
الاجل السيد محمد بن عبد الله بن سعيد السلام
عليكم السلام وبعد وصلنا كتابكم وبطيه ستمائة
وخمسة وعشرون فرنكا اعانة لفقراء المسلمين
وقد بعثنا العدد المذكور للمسيو طارات فابجز
المالية بوجدة الذي تكلف بذلك على وجه الخير
والله يجازيكم خيرا على ما انتم متشابه على
المساكين حرر بوجدة في 18 جوليت
سنة 1921

أصل رسالة وجهها القنصل الفرنسي بوجدة
إلى القائد عبد الله بنسعيد

أصل رسالة وجهها القائد عبد الله بنسعيد
إلى الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني

بممالكه واوامره واذ ذاك يصعب على المسلمين مقاومته ولكن دون بعد ذلك مكنونه من قتال المسلمين وجيوشهم
لا يتسع ايضا وكانت انكم سمعتم بالاتفاق الذي وقع بين الانجليز والفرنسيس في ما يتعلق باحوال المغرب و
مصر وهو ان الانجليز قد تسلم للفرنسيس بان يتكلم في المغرب [illegible] فهذا الاتفاق استعمل على الاستيلاء ومنابع
كالتي اشترى الذي في المطالب العلالة وخيلاته مان الانجليز كان احمد [illegible] وما يطلب والمخزن كما يطلب على مقتضى
الحزم فكانت واما الاصبنيول فانه لم يسلم للفرنسيس في حقوقه في المغرب المبنية على المعاهدات الغربية
وبذا انتهى كل [illegible] بجانب المغرب [illegible] ذلك وفي اخر الامر اتفق جامعا الفرنسيس
والاصبنيول على احترام استقلال مملكة المغرب وعدم [illegible] بوجه من الوجوه والمملوك جميعا بوجه [illegible]
ليس بعد شك بانهما قد اتفقا والتزما على الالتزام الكلي باحترام مملكة المغرب واحترام السلطنة الفاعلة
[illegible] واذا حصل امر [illegible] على [illegible] فانه يطلب ما يفيد بلاده بتحمل [illegible] وجب الفصل [illegible] مرفوع — امتياز
الافراد والالتزام باعيادة وعدم استعماله بوجه من الوجوه ولم يبق بين الفرنسيس الا استعمال الخداع
والحيل والمكيدة [illegible] يتمرد [illegible] حتى عمل على امتيازات [illegible] في ارجحه
[illegible] الاسلام ابدا [illegible] يعظم امرها ويصعب [illegible] كما وقع ذلك في تونس ومصر حتى ان [illegible]
التي [illegible] على المسلمين [illegible] ما ذكر وذلك [illegible] الخديعة [illegible] الكلابريس
ما نعرض على جناب [illegible] الحال لتشتغل [illegible] شبكات الخديعة
والمكر [illegible] انه [illegible] الله [illegible] الانس [illegible] الموشى
[illegible] والموضوع واجبة بالكتاب والسنة والعقل ولذلك نطلب [illegible]
جميع العقلاء [illegible] مطالب الفرنسيس [illegible] والتأمل [illegible]
[illegible] المسلمين [illegible] التي [illegible]
ان [illegible] الفرنسيس [illegible] جميع [illegible]
[illegible] الاحترام [illegible] الموضوع [illegible]
الفرنسيس [illegible] الانجليز او مع الاصبنيول [illegible] الفرنسيس مع المخزن [illegible]
الموضوع [illegible] الذي وقع بينه وبين الجنسين المذكورين [illegible] الكلمات [illegible] على اللسان
[illegible] الدولة الفرنسوية [illegible] مع الانجليز
او مع الاصبنيول [illegible] والمخزن ان يدخل في هذا [illegible]
[illegible] والموافقة عليه [illegible] المغروم [illegible] المخزن
[illegible] المخزن [illegible] بوجه من الوجوه وانما الذي يلزم المخزن هو ما [illegible]
[illegible] عليه [illegible] المواقف للشرع [illegible]
[illegible] واجب [illegible]
١٥١ [illegible]

أصل رسالة وجهها القائد عبد الله بنسعيد إلى
الوالد سيدي أحمد بن الشريف القادري

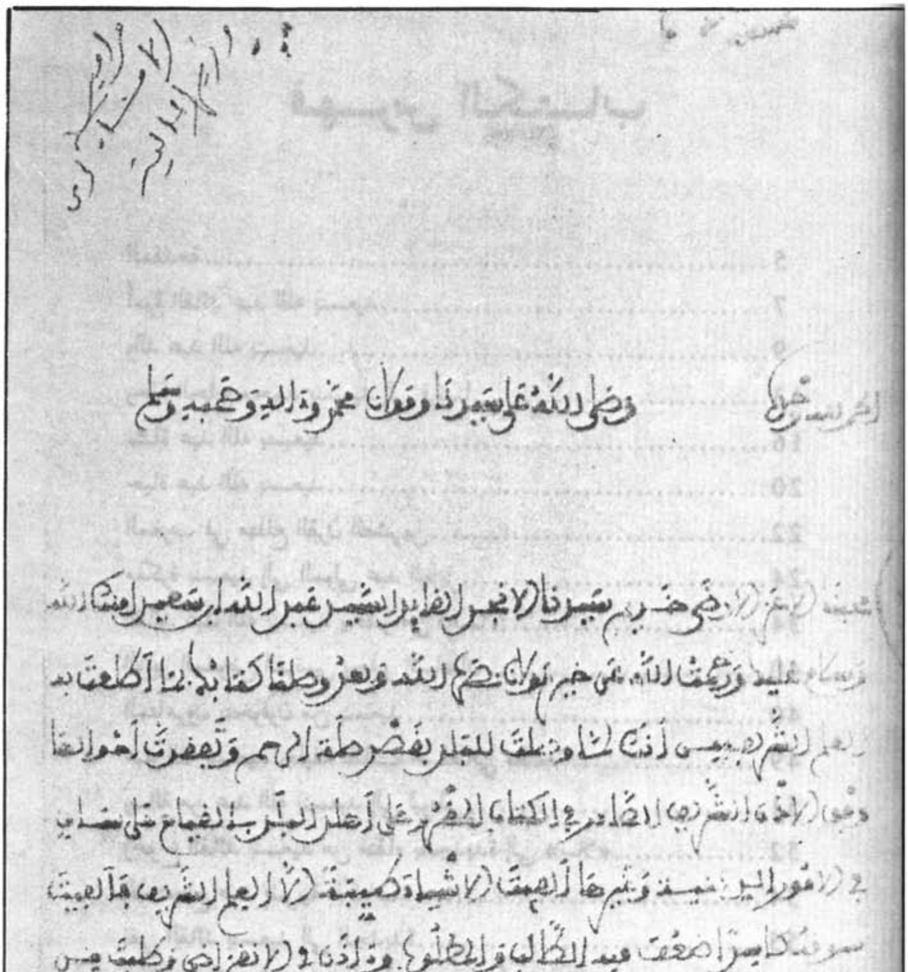
الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

[illegible] سيدنا الأنجد الفايد الشيخ عبد الله ابن سعيد [illegible]

وسلام عليكم ورحمة الله [illegible] مولانا نصره الله وبعد وصلنا كتابكم [illegible]

[illegible]

[illegible] على أهل الجبل [illegible]

[illegible] الأشياء [illegible] العلم الشريف [illegible]

[illegible] الطالب [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] الشريف [illegible]

[illegible] والسلام في 2 ربيع النبوي عام [illegible]

العبد عبد السلام التازي [illegible]

أصل رسالة من عبد السلام التازي

إلى القائد عبد الله بنسعيد

فهـــرس الكتـــاب

المقدمة 5

أسرة القائد عبد الله بنسعيد 7

والد عبد الله بنسعيد 9

رحلة الحاج محمد بنسعيد إلى فرنسا 13

نشأة عبد الله بنسعيد 16

حياة عبد الله بنسعيد 20

المغرب في مطلع القرن العشرين 22

مذكرة بنسعيد إلى المولى عبد العزيز 24

القائد عبد الله بنسعيد يحذر من فرنسا 34

الوزير المفوض الفرنسي يحذر السلطان 40

المتآمرون يتخوفون من بنسعيد 40

عبد الله بنسعيد خليفة للنائب السلطاني بطنجة 49

رسالة من عبد الله بنسعيد إلى ليوطي 51

رجوع القائد بنسعيد من منفاه بالجديدة إلى «سلا» 52

الاحتجاج ضد ضريبة الكياب 54

نفي القائد بنسعيد إلى الجديدة 55

رسالة من القائد بنسعيد إلى أبناء سيدي أحمد القادري 57

وفاة القائد عبد الله بنسعيد 58

ملاحق 59

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

الإيداع القانوني رقم 1995/245

ردمك 9981-9902-1-3